تنمية الوعي

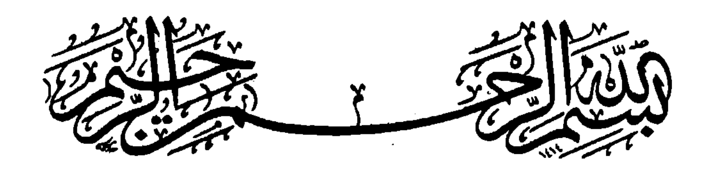
منهج في ارتقاء المستوى الفكري
وتشييد العقلية الواعية

تأليف
علاء الحسون

دار الغدير / قم



مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com


بسم الله الرحمن الرحيم

تنمية الوعي

● علاء الحسّون (تبريزيان)

● دارالغدير / قم

● الطبعة الاولى / ١٠٠٠

● ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م

● ١٠٠٠ تومان

● ISBN: 964-7165-76-5

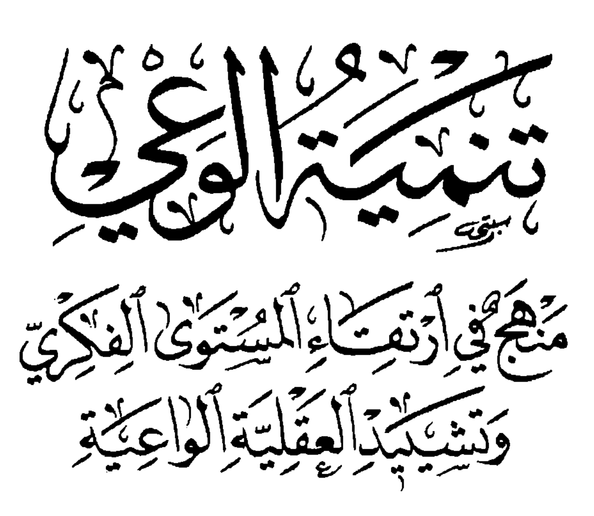
دار الغدير للطباعة و النشر و التجليد

تلفاكس، ٧٧٤٤٦٩٥ (٢٥١-٩٨+) رقم ٣، الفرع ١٢، شارع معلّم، قم - ايران

Email: darul_ghadeer@yahoo.com


تنمية الوعي

الحسّون (تبريزيان)، علاء ١٩٧٥ م
تنمية الوعي
منهج في ارتقاء المستوى الفكري وتشييد العقلية الواعية
دار الغدير / قم ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م
ISBN:964-7165-76-5
١.وعي وتفكير
٢.علم النفس الاجتماعي
٣.علم النفس الاسلامي
الف.عنوان .
٨ت ٢ ن/٤٥٥ BF ١٥٣/٤٢
المكتبة الواطنية الايرانية ٥٩٠١-٨٢م



تأليف
علاء الحسون

دار الغدير / قم

الإهداء

اقدّم كتابي هذا إلى كافة سالكي سبيل الجد والاجتهاد، الذين يكـافحون مـن أجـل اسـتكشاف طـاقاتهم الكـامنة وتوظيفها لنيل الأهداف السامية.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

تمتلك المرتكزات الفكرية والصور الذهنية والمفاهيم التي يختزنها الانسان في باله، الصدارة في تكوين رؤيته الكونية وصياغة أُسسه المعرفية وتوجيه دوافعه وتنظيم مساعيه وبلورة كافة سلوكه وتصرفاته.

ويعتبر سمو الوعي الشرط الاساسي لنيل الأهداف السامية واكتساب الطموحات الرفيعة واتخاذ السبل الصحيحة، لأن لتسامي الوعي وارتقاء المستوى الفكري واتساع آفاق الرؤية وتقوية جولان النظر العقلي في البحث عن الحقيقة، التأثير المباشر على الانسان ذاته في

ارتقاء مستوى سلوكه وتحديد أهدافه وميوله واتجاهاته وسير حركة حياته وفق الأسس والمباني السليمة.

ولهذا لا يستطيع الإنسان أن يحدث أي تغيير في سلوكه وتصرّفاته إلّا بعد المبادرة إلى تنمية وعيه ورفع مستواه الفكري، لأنّ أية خطوه يحاول فيها الإنسان أن يلزم نفسه على القيام بعمل معيّن تبوء بالفشل ولا يكتب لها النجاح ما لم يبدء الإنسان بتنمية وعيه.

إذن، فالشرط الأوّل للارتقاء والاندفاع نحو الأهداف السامية، وانشاء المحفّز للتكامل واتخاذ السبل الرفيعة، هو أن يبذل الإنسان أقصى جهده لتنمية وعيه.

لأنّ الإنسان بسمو وعيه يزداد بصيرة في الحياة، فيكون له تفكيره الخاصّ الذي يعتمد عليه في تسيير أموره واتخاذ السبل التي توصله إلى أهدافه، فينجو بذلك من أسر التبعية لهذا وذاك، ويتحرّر من الانقياد الأعمى للموروثات العقائدية والفكرية الخاطئة والباطلة، ويتمكّن من صيانة نفسه من الاهتمام بالأمور التافهة.

وبسمو الوعي يتمكّن الإنسان من نيل حالة الاستقامة والثبات وعدم الانقياد الأعمى للشعارات البراقة والدعوات الزائفة، فيغدو صاحب شخصية لها سماتها البارزة ولها استقلاليتها وحريتها في تحديد مصيرها واتخاذ مسارها في الحياة.

وبسمو الوعي يكتسب الإنسان العقلية التي تمتلك القدرة على تحديد عوامل النكوص والاحجام في حياته الفردية، فيكتشف الفرد الأمراض التي نخرت حياته وفتكت بأسسه ومبانيه، ثمّ يتمكّن من معالجة نفسه وتغيير عاداته السلبية واعادة التوازن والاعتدال إلى كيانه.

وبسمو الوعي يتمكّن الإنسان أن يبعد نفسه من المنعطفات الحادة والمتعبة، لأنّ الشخصية غير الواعية شخصية مرهقة نتيجة دوام اصطدامها بالعقبات، فهي بالاحرى بحاجة إلى ترميم كيانها الممزق قبل كلّ شيء، ليمكنها أن تعيد من جديد حياتها بسلام.

وعلاج ذلك هو تنمية الوعي، لأنّ الإنسان بسمو وعيه يتمكّن من الاحاطة بالقواعد التي تضعه على الطرق الصحيحة التي تؤدي به إلى بلوغ مرامه وغاياته المنشودة من أقرب السبل الممكنة.

وفي الحقيقة كم هم الذين يبذلون قصارى جهدهم للوصول إلى أهدافهم وتطلّعاتهم، لكن تذهب جهودهم سدى وتبوء محاولاتهم بالفشل نتيجة قصور وعيهم.

ومن هنا تتجلّى لنا أهمية الوعي وندرك بأنّ من يبتغي ارتقاء مدارج الكمال والنظر إلى الحياة بعقلية نيّرة وبصيرة مستنيرة ينبغي له في بدء حركته نحو التكامل أن يتقن المنهج الذي يتيح له تنمية وعيه.

لأنّ الوعي يمدّ الحياة بضوء كاشف يهدي صاحبه إلى سواء السبيل، فلا يحيد يمنة أو يسرة ولا تتعثر خطاه في الدروب المظلمة.

وبالوعي يمضي الإنسان في حياته ثابت الخطى مرتسماً معالم الحق ومتجاوباً مع أهداف الحياة النبيلة.

وبالوعي يغدو الإنسان شخصية فذّة ورائعة وتصبح حياته معيناً لا ينضب ونوراً لا يخبو.

ولهذا تم تأليف هذا الكتاب، فهو محاولة لتقديم منهج لتنمية الوعي، لأنّ الحصول على الوعي لا يتم بالصدفة أو من ضربة حظ، بل هو أمر يتطلّب بذل جهود منظّمة واتباع منهج يستهدف تنمية هذا الجانب في كيان الإنسان.

وهذا هو المنهج الذي نحن بصدد بيانه، ونأمل من الباري عزّوجلّ أن يعيننا في أداء هذه المهمة.

وفي الختام، أقدّم جزيل شكري وعظيم تقديري لصاحب الفضيلة الاستاذ الدكتور محمود البستاني على اضطلاعه بمهمة مراجعة هذا البحث وابدائه الملاحظات المفيدة.

المؤلف

الباب الأوّل

ارتقاء المستوى الفكري

أهمية الفكر

إنّ الفكر هو السبيل الوحيد الذي يجعل الإنسان أكثر وعياً لما يحيطه، وبه يكون المرء أعمق إدراكاً لأبعاد وجوده وعلاقته بالكون. لأنّ الإنسان يطلّ من خلال أبراج فكره على عوالم جديدة، فتتسم رؤيته بالشمولية التي تجعله أكثر وعياً بالحقائق، وأكثر قدرة على معرفة ما كان يجهله فيما سبق.

وبالفكر يرتقي الإنسان من مرحلة الجهل والظلام إلى مرحلة الاهتداء والمعرفة، وتمثّل الأفكار البنّاءة لدى كل إنسان الثروة الحقيقة التي يتمكّن بها من تيسير حركته نحو تحقيق أهدافه المنشودة.

كما أنّ الجسم مركبة يقودها الفكر، ولا يوجد عمل إلّا ووراءه فكر، وأنّ الإنسان لا يمكنه أن ينال أيّ تقدّم في ميادين الحياة، ما لم يبدء بترقية مستواه الفكري قبل ذلك.

فلهذا ينبغي لكلّ من يطمح ببلوغ المراتب السامية في الحياة، أن يبذل جهده في البدء في دائرة ارتقاء مستواه الفكري.

عملية التفكير

إنّ التفكير مظهر من مظاهر العقل، وهو عملية يقوم بها الإنسان بتنشيط ذهنه أو إعمال نظره أو خاطره في موضوع ما من أجل تحصيل المعرفة.

وفي هذه العملية يربط الإنسان بين الأفكار المتعدّدة ليزداد بصيرة بالعلاقات القائمة بينها، وليتمكّن من بناء فهم يجعله قادراً على تنمية خبراته وحلّ مشكلاته واتخاذ قراراته بأفضل صورة ممكنة. وبعبارة أخرى يقوم الإنسان بترتيب بعض ما يعلم من أجل الوصول به إلى اكتشاف المجهول.

وفي هذه العملية، كلّما يكون الإنسان أكثر وعياً بالكيفية التي يجري بموجبها انتاج الذهن للأفكار، يكون بمقدار ذلك أقدر على انتاج الأفكار البنّاءة والتخطيط من أجل نيل المستوى الفكري الرفيع.

فلهذا ينبغي عدم ترك عملية التفكير للصدفة، بل يجب توخي المنهج الصحيح الذي يؤدي إلى تنمية التفكير، والذي يكون المرء به قادراً على استخدام ذهنه بأفضل صورة ممكنة.

المنهج الصحيح الذي يؤدي إلى تنمية التفكير، والذي يكون المرء به قادراً على استخدام ذهنه بأفضل صورة ممكنة.

عناصر عملية التفكير

١ ـ الواقع:

يكون الواقع موضوعاً للتفكير، وقد يكون هذا الواقع غير مادي، فلا يقع تحت الحسّ المباشر، فتكون المعرفة به حينئذٍ عن طريق الحكم على الآثار والاستنتاج من خلال عناصر الوجود المادية. فيُعرف وجود الله سبحانه وتعالى ـ على سبيل المثال ـ من خلال التفكر في خلق السماوات والأرض، أو يُعرف ما يقع في علم الغيب من خلال كتاب الله تعالى وسنة نبيّهﷺ اللذين هما واقع مادي محسوس.

٢ ـ الدماغ:

وهو يحتوي على مجموعة ملكات تقوم بعمليات فكرية متعدّدة، من قبيل: المقارنة، التميز، التبويب، التحليل، التركيب، التصوّر، التخيل، الافتراض، الاستقراء، القياس، الاستنتاج، التخصيص، التعميم وغير ذلك.

٣ ـ الحواس الظاهرية:

وهي قنوات تقوم عبر السلك العصبي بانتقال الواقع إلى الدماغ، أو بعبارة أخرى هي نوافذ المعرفة الانسانية التي بها يطل الإنسان على المحيط الخارجي.

٤ ـ المعلومات والخبرات السابقة:

وهي معلومات مهمتها تفسير الواقع الجديد. وبها يتمكّن الإنسان من تحليل الصور الجديدة التي يتلقّاها من الواقع الخارجي عبر الحواس.

وهذه المعلومات تعدّ المقياس الذي يختبر به الإنسان صواب الفكرة الجديدة أو خطأها حسب ما يرتأيه، لأنّ الإنسان لا يستطيع الإذعان بصحّة فكرة معيّنة، ما لم تكن هذه الفكرة مشابهة للصور الموجودة في ذهنه من قبل.

وهذه المعلومات اكتسابية، يكتسبها الإنسان بمرور الزمان، لأنّ ذهن الإنسان حينما يولد يكون خالياً من أية معلومة، وقد قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَاتَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾ [النحل: ٧٨].

وفي الدماغ تأخذ عملية التفكير مجراها الطبيعي، وتبدأ هذه العملية في استدعاء المعلومات والخبرات المخزونة، ويتم هذا الاستدعاء بـ«التذكّر» وهي عملية تستخلص المعلومات من بين الملفات المتراكمة، وبها يتغلّب الإنسان على عامل النسيان الذي له دور كبير ـ أحياناً ـ في تغييب المعلومات. ثم تبدأ عملية التفكير المعقّدة، وبعد تمام النشاطات الذهنية المطلوبة يتمّ صدور الحكم.

سبل ارتقاء المستوى الفكري

١ ـ تنشيط عملية التفكير

إنّ التفكير عملية تستدعي وجود دافع ومحفّز يبثّ فيها الحيوية، لأنّ التفكير لا ينمو في فراغ، بل هو بحاجة إلى ما يمنحه القوة الدافعة ليتحرّك نحو أداء نشاطه.

ويعتبر الاحساس بالمشكلة هو من أكبر الدوافع التي تحفّز الذهن على التفكير، لأنّ المشكلات تثير التفكير وتقدح بدورها شرارة الفكر وتستنفر جميع طاقاته بحثاً عن الحل، بحيث تتولّد عند الإنسان الدافعية للبحث والسير في حلّ المشكلة.

ولهذا ارتأيت طرح هذا البحث والوقوف عنده، وذلك لما فيه من

آثار لا يستهان بها في ارتقاء المستوى الفكري وتنمية الوعي.

تعريف المشكلة

المشكلة هي نوع من أنواع الالتباس يعتري سبيل الإنسان في أموره وقضاياه. والحلّ هو نشاط ذهني يقوم به الإنسان ويمارسه من أجل التوصّل إلىٰ ما يزيل هذا الالتباس[١].

وبعبارة أخرى: المشكلة هي فجوة أو حاجز بين الإنسان وبين ما يريد، والحلّ هو اتباع الخطوات التي يقوم بها صاحب المشكلة من أجل ملء الفجوة القائمة أو إزالة الحاجز الموجود بينه وبين انجاز ما يريده.

وعلى هذا، لا يتمكّن صاحب المشكلة من الوصول إلى الحلّ إلّا عن طريق فهم مالديه في الواقع الحاضر وما يريد تحقيقه في المستقبل، ومعرفة المسافة الموجودة بين الواقع الراهن والمستقبل.

مواجهة الإنسان للمشكلات

إنّ مواجهة الإنسان للمشكلات والموانع التي تقف دون نيل أهدافه

(١) راجع: المنجد في اللغة: مادة (ش ك ل): ومادة (ح ل ل).

أمر طبيعي. وكلّ إنسان يمرّ في حياته اليومية بالعديد من الطرق الموصودة أمام أهدافه.

وتفرض هذه العقبات على الإنسان السعي للحصول على الحلول المناسبة لمعالجتها أو التوافق معها. لأنّ المشكلات ـ بمستوياتها المختلفة ـ تمثّل عبئاً يثقل كاهل الإنسان.

وكفى بالحالات السلبية والمشاعر غير السارة التي تتركها المشكلات في نفس الإنسان دافعاً لتحريك فكره وتنشيط ذهنه من أجل الوصول إلى الحلول التي تحرّره من هذه الحالات والمشاعر السلبية التي يعاني منها.

الموقف الصحيح إزاء المشكلات

إنّ جملة من المشكلات قد تتحوّل نتيجة احتكاك الإنسان بها إلى أمور طبيعية يمارسها ويقوم بحلّها من دون أن يجهد ذهنه. ولكن توجد مشكلات تظهر في صياغات غامضة ومواقف معقّدة وضبابية، بحيث تتطلّب العديد من العمليات الفكرية، من أجل تنظيمها وتحديد معالمها قبل المبادرة إلى حلّها وإخراجها من حالة اللبس والغموض.

وقد يصرف البعض تفكيرهم عن المشكلات أو يتجاهلونها، لكن ذلك لا يغيّر من طبيعتها، لأنّ الإنسان لا يستطيع أن يلغي المشكلة أو

يخفّف من وطأتها إلاّ بمواجهتها، والعمل من أجل حلّها.

وقد تبدو عملية حلّ المشكلات لأوّل وهلة أنّها صعبة وبعيدة المنال، ولكن السبيل الصحيح هو أن ينظر صاحب المشكلة إلى مشكلته بأنّها مجرّد طوارىء لا تلبث أن تزول، وأن يعتبرها فرصة جديدة لنمو ونضج ذهنه وأن يقوم بتجزئة عملية حلّ المشكلة إلى عدّة خطوات ليسهل عليه تناولها بالبحث وليمكنه بعد تحقيق كلّ خطوة أن يصل إلى الحلّ المطلوب في نهاية المطاف.

خطوات حلّ المشكلة

تستدعي عملية حلّ المشكلة بذل الجهود الواعية والقيام بالنشاطات الهادفة واتباع الخطوات المدروسة والمسارات المحدّدة التي تقوم على أسس واضحة، بحيث تجعل صاحب المشكلة قادراً على نيل النتائج المطلوبة.

ويحتاج كل فرد أمام المشكلات والاختيارات الصعبة التي يواجهها والمسائل المعقّدة والشؤون المستعصية التي تعتري طريقه إلى اجتياز الخطوات التالية من أجل الوصول إلى الحلّ المناسب:

الف ـ تحديد المشكلة

وهي عبارة عن فهم المشكلة ومعرفة الجوانب الاساسية فيها عن طريق جمع المعلومات حولها، والنظر إليها من زوايا مختلفة، وفحص التفاصيل المتعلّقة بها ومعرفة عناصر المشكلة ومكوناتها والإلمام بالعوامل المساهمة في خلقها والاحاطة بالظروف المحيطة بها.

وفي هذه المرحلة، تعين الخبرات السابقة صاحبها على اعادة النظر إلى المشكلة من زوايا جديدة في ضوء تلك الخبرات المكتسبة.

كما يلزم على صاحب المشكلة في هذه المرحلة أن يتوجّه إلى معرفة المعلومات التي ينبغي معرفتها أو تتطلب الحاجة إلى الالمام بها، أو التي تساعده في تفسير وتوضيح المشكلة، ليتمكّن من تكوين رؤية واضحة عن المشكلة وما يتعلّق بها، ومن ثمّ يكون قادراً على أداء المراحل الأخرى المطلوبة لحلّ المشكلة بأفضل صورة ممكنة، لأنّ تكوين الفهم الدقيق والرؤية الواضحة عن المشكلة وعن النتائج المستهدفة التي ينبغي التوصّل إليها، تعين صاحب المشكلة على معرفة ما يتطلّع نحوه وعلى المنهج والمسار الذي ينبغي اتباعه من أجل الوصول إلى ما يريد. وتساعده على صياغة المشكلة بصورة تعكس فهمه المحدّد لها، ومن ثمّ يتمكّن من تحديد الأنشطة اللازمة لحلّ المشكلة وتحقيق النتائج

المطلوبة. وبذلك يكون قادراً على بناء نقطة مركزية للجهود التي يبذلها في حلّ المشكلة.

كما أن صاحب المشكلة يتمكّن عبر تحديد المشكلة وفهمها أن يكوّن لنفسه رؤية واضحة عن الوقت والجهد الذي سوف يبذله في حلّها. ومن هنا يعي صاحب المشكلة مدى أهمية المهمة التي يريد أن يقوم بها لحلّ المشكلة، ويدرك مدى استحقاقها من الأهمية التي تتناسب مع التكلفة.

لأنّ العقل يحكم على كل صاحب مشكلة أن يعطيها من الجهد العقلي ما يتناسب مع حجمها، لأنّ من غير المناسب أن يضيّع الفرد وقته ويهدر طاقته في مشكلة لن يعود حلّها عليه بفائدة تتكافىء مع العناء الذي يبذله في سبيل حلّها.

ب ـ توليد الأفكار

وهي عبارة عن تنشيط عملية التفكير من أجل التوصّل إلى العديد من الحلول الصالحة والناجحة لمعالجة المشكلة الراهنة.

وفي هذه المرحلة يحصل صاحب المشكلة على احتمالات وآراء تبدو ذات قيمة وذات قابلية لتكون حلولاً مناسبة للمشكلة.

وتستلزم هذه المرحلة اتباع خـطّة مـدروسة وطـريقة مـنظّمة في التفكير، لأنّ التجوال العشوائي أو محاولات البحث غـير المـنظّمة لن تؤدي إلى نيل المطلوب. فلهذا ينبغي لصاحب المشكلة أن يـراقب في هذه المرحلة ـ بل في جميع المراحل ـ ما يقوم به من أنشطة ذهنية وما يترتّب عليها من نتائج، وأن يختار عن وعي الطرق والأسـاليب التي يستخدمها، وأن يعي ما يقوم به من نشاط وكيف يقوم به ومدى نجاحه.

وبمقدار ثراء المعلومات المختزنة في الذهن تكـون كـفاءة التـحليل وتوليد الأفكار الجديدة، وبمقدار كثرة هذه الأفكار يكون الفرد أقدر عـلى تخطي المشكلة أو تغيير الحاضر الذي لا يرتضيه إلى المستقبل الذي يتمنّاه.

وينبغي لمن يقوم بتوليد الأفكار أن يتّسم بصفات، منها:

١ ـ شمولية الفكر، وهي التـفكير في اتجـاهات مـتعدّدة ومـتنوّعة والنظر من زوايا مختلفة.

٢ ـ تحلّي الذهن بالطلاقة والمرونة والقدرة على الاتيان بـالبدائـل المتعدّدة والحلول الجديدة، وذلك عن طريق استخدام المخزون المعرفي، لأنّ الكثير من الناس لا يجيدون توليد الأفكار رغـم تـوفّر المـعرفة لديهم، ويعود السبب في ذلك إلى عدم قدرتهم على استخدام مخزونهم المعرفي استخداماً مناسباً.

٣ ـ القدرة على اضافة التفاصيل على الحلول، كي تصبح ملفته للنظر ومثيرة للاهتمام نتيجة اكتمالها وثراء مادتها.

٤ ـ اختيار الطرق الملائمة مع طبيعة الفرد لحلّ المشكلات، لأنّها تجعله أكثر فاعلية وايجابية وانتاجاً في توليد الأفكار.

٥ ـ عدم الاكتفاء بالحلّ الذي يخطر على البال لأوّل وهلة، بل ينبغي المبادرة إلى بذل المزيد من الجهد الذهني، من أجل الحصول على أكثر من حلّ واحد للمشكلة، بدلاً من قبول الحلّ الذي يبدو ظاهراً لأوّل مرة.

٦ ـ ترك التقييم حين توليد الأفكار، لأنّ ذلك يعيق تدفّق الأفكار ويقف دون انطلاق الذهن، ولهذا من الأفضل لصاحب المشكلة أن يترك العنان لذهنه وخياله دون تقييم وتصحيح، ليتمكّن من الحصول على كمية كبيرة من الأفكار الجديدة والبدائل المتنوعة والاحتمالات المتعدّدة والحلول غير التقليدية، وأن يجعل التقييم للحلول والبدائل كنشاط مستقل يقوم به في المرحلة اللاحقة، وهي مرحلة اتخاذ الحلّ النهائي.

ج ـ اتخاذ الحلّ النهائي

في هذه المرحلة، يأتي دور تنظيم الأفكار التي تمّ التوصّل إليها في

المرحلة السابقة، فيقوم صاحب المشكلة بغربلة تلك الأفكار وفرزها وتصنيفها وترتيبها حسب الأهمية، ثمّ يختار منها الفكرة التي يشعر أنّها أكثر فاعلية في حلّ المشكلة.

وتتم عملية الانتقاء عن طريق تحديد الأوجه الايجابية والأوجه السلبية للأفكار والحلول المطروحة، وتسليط الأضواء على المزايا والقصور فيها، ومن ثمّ إجراء المقارنة فيما بينها من أجل تحديد اسمى الحلول واتخاذ القرار بشأن البدائل.

ويتمكّن صاحب المشكلة أيضاً من تطوير الأفكار، وذلك عن طريق تعديلها وتقويمها وضم بعضها إلى بعض وإعادة صياغتها، فيكون بذلك قادراً على صياغة الحلّ المناسب للمشكلة.

وفي هذا المجال، كلّما تكون معرفة صاحب المشكلة بالبدائل والمناهج المتنوعة لحلّ المشكلات المختلفة أكبر، يكون أقدر على اختيار البديل أو المنهج المناسب لحلّ المشكلة.

د ـ التخطيط للتنفيذ

تتحرّك الجهود في هذه المرحلة، ويتمّ تنشيط القوى من أجل تحويل الحلّ النهائي وترجمة الأفكار المؤهّلة إلى أفعال واجراءات وسلوك نحو

الطريق الذي يؤدّي إلى الحلّ. ويكـون الهـدف هـو إحـداث التـغيير المطلوب بكفاءة.

ويتطلّب هذا الأمر البرمجة المتقنة من أجـل التـوصّل إلى الطـرق المتميزة والأساليب الفريدة. كما أنّ الحـلّ النهـائي يـتطلّب مـا يمـنحه الاستمرار في التنفيذ، لأنّ الأفكار كثيراً ما تموت لافتقارها ما يدعمها وما يمنحها القوة لمواصلة السير.

والمطلوب الأوّل لمواصلة عملية تنفيذ الحلّ النهائي هو الاقتناع به، لأنّ عدم الاقتناع بالحلّ لا يمنح الإنسان المحفّز للعمل به. كما أن العامل الأساسي في نجاح الحلّ هو ما يتميّز به صاحبه من حمـاس ودافـعية والتزام نحو العمل.

هـ ـ تطبيق الخطة

يقوم صاحب المشكلة في هذه المرحلة بتجربة الحلّ المختار واختباره وتقويم نتائجه، ليسعه بعد ذلك من تعديل الحلّ وتهـذيبه حينما يواجه عدم فاعليته على أرض الواقع.

والجدير بالذكر أن تطبيق الخطة وانجاز عملية التغيير من أجل حلّ المشكلة أو تعديل الواقع، عملية تثير تحديات كبرى، ويكـون المـرء

موفّقاً في انجازها بمقدار اتقانه للخطة التي قد اعدّها من قبل لهذه المهمة.

وقد تخفق بعض الأحيان الحلول المختارة ولا تحقق ما يرجوه الإنسان، وهذا أمر طبيعي، وهو يوحي إلى صاحب المشكلة بأنّه يفتقر إلى اكتساب طرق وأساليب أكثر فعالية.

وينبغي للمرء في هذه الحالة أن يواجه الفشل والاحباط وخيبة الأمل بهدوء ومن دون حدة، وأن يعدّ الكرة من جديد ليحصل على حلول أفضل لمعالجة مشكلته.

تخطّي العقبات في حلّ المشكلات

تعتري ـ بعض الأحيان ـ صاحب المشكلة عقبات تحول دون مبادرته إلى حلّ المشكلة، منها:

أن يعتقد صاحب المشكلة بأنّ مشكلته لا تخضع لقوانين محدّدة، أو يفرض لها تفاسير خاطئة تسلب منه الاعتقاد بامكانية السيطرة عليها أو وجود حلّ لها.

وبهذه الرؤية الخاطئة يفقد صاحب المشكلة المحفّز للمبادرة إلى الحلّ، أو الاستعانة بمختلف التحاليل التي تقرّبه إلى الأمر المطلوب. كما أنّ هذه الرؤية تسلب منه الدافع للبحث من أجل اكتشاف نوع الخلل

الذي يعاني منه، فلهذا يبق لا يعي موطن الداء ولا يعرف موقفه من المشكلة، لأنّه لا يحسّ فهم المشكلة. كما أنه قد يتوجّه إلى الحل، لكنه يتركه في منتصف الطريق بمجرّد أي أمر تافه يصرفه عنه، لأنّه لا يشعر أنّه ترك أمراً يتوقّف عليه حلّ المشكلة.

ومن العقبات الأخرى التي تعترض سبيل صاحب المشكلة وتمنعه من تحقيق الحلّ، هي صياغته السلبية للمشكلة من قبيل شعوره بضيق الوقت لحلّ المشكلة أو فقدان التأييد المطلوب لانجاز المهمة أو الاحساس بالضعف والعجز ومن هذا القبيل من التفكير السلبي الذي يثبّط الهمم ويدعم الاتجاه السلبي في حلّ المشكلة.

ومن الأفضل لصاحب المشكلة أن يزيل عن ذهنه هذا النمط من التفكير ازاء المشكلة، وأن يوفّر لنفسه الأجواء المناسبة التي تغرس في ذهنه التفكير الايجابي وتساعده على توليد الأفكار الجديدة التي تثير لديه الدافع والمحفّز للتفكير الجيد فيما يمكن عمله لحلّ المشكلة وتغيير الواقع الذي لا يرضاه إلى ما يتمنّاه في المستقبل.

ومن العقبات الأخرى هي أن البعض يكرّس جهده في التفكير بالمشكلة من حيث ردود أفعالها من دون مواجهتها أو التعامل معها على أساس التغلّب عليها.

وهذا ما يحجب بصيرة الإنسان عن رؤية الحلول نتيجة تأثّره

بالجانب العاطفي الذي خصّصنا له فصلاً سيأتي تحت عنوان الانفعالات.

وعموماً فإنّ من أهمّ عوامل النجاح في حلّ المشكلات هو الاهتمام والرغبة والدافعية والثقة بالنفس وارتقاء مستوى التفكير الابداعي والتفكير الناقد وثراء الخبرات والخلفية الثقافية والمعرفة لمشكلات سابقة.

وكل هذه العوامل ـ التي سوف يتم البحث عنها لاحقاً ـ تساهم بشكل جاد في تخطّي جميع العقبات والحواجز التي تعترض سبيل الإنسان في حلّه للمشكلات.

٢ـ اثراء الرصيد المعرفي

يعتبر تلقّي العلم وتحصيل المعرفة من أهم العوامل المساهمة في ارتقاء المستوى الفكري وتنمية الوعي، لأنّ المعلومات المختزنة في الذهن تمنح صاحبها ثروة تغدو عبر النشاطات الفكرية المختلفة كنزاً يلبّي جميع طلبات الذهن حين قيامه بانتاج الإبداعات العلمية.

كما أنّ العلم يتيح لصاحبه قدرة تصحيح تصوراته الخاطئة ونبذ معتقداته الباطلة التي قد وقع في شباكها نتيجة تأثّره بجمال طرحها من قبل الآخرين. لأنّ الإنسان بالعلم ينفتح على أبعاد أخرى ويطل على عوالم جديدة، فيمتلك قدرة التحرّر من الوهم والتمييز بين الحقيقي والزائف.

وتتطلّب عملية تلقّي العلم الظروف النفسية المثالية والهادئة التي تساعد الطالب على اكتساب الجديد من المعلومات، لأنّ الهدوء النفسي يؤدّي إلى تقليل عملية استهلاك الذهن من الطاقة حين تلقّي العلم، وبالتالي يتيح بقاء المزيد من طاقة الذهن لعملية التعلّم.

دوافع تحصيل العلم

يندفع الإنسان لتحصيل العلم وتلقّي المعرفة غير الأكاديمية من مجموعة دوافع، منها ـ ناهيك عن كونها ايجابية أو سلبية ـ :

حب الاستطلاع، الرغبة في المعرفة، الاستفادة المادية، كسب الفخر والمجد، سدّ النقص العاطفي، تعويض الفشل الاجتماعي، تكوين النظرة الواعية إلى الحياة، التمكّن من الانبعاث نحو التطوّر، الحماية من شرّ الجهل، نيل رضا الله سبحانه وتعالى وغيره.

انماط تلقّي العلم

١ ـ تلقّي العلم عبر المعلّم

وهو منهج متعارف في تلقّي العلم، ولا يحتاج إلى توضيح، ولكن

الأمر الجدير بالذكر في هذا المجال هو أنّ المنحى التدريسي الذي يتمّ فيه التعليم بصورة إملاء قواعد وقوانين ثابتة على الطالب وطلب الاصغاء لها وتقبّلها من دون ردّ ومناقشة، وعدم أخذ أفكار الطالب بعين الاعتبار من قبل الاستاذ أو المعلّم، يؤدّي إلى تعطيل ذهن الطالب وتجميد طاقاته واماتة مواهبه وتسرّي الملل إليه نتيجة عدم شعوره بحريته وارادته. فيؤدّي ذلك إلى عدم كفاءة التعلّم وانعدام رغبة الطالب للتعلّم وزوال شوقه إلى الدراسة.

فلهذا ينبغي ـ من أجل نيل أفضل الأساليب للتدريس ـ أن يتّبع الأستاذ أو المعلّم الأسلوب الذي يتمّ فيه التركيز على إثارة الدافعية للتعلّم والتوجّه للدرس بشوق ولهفة. ولا يكون هذا الأمر إلّا إذا استطاع المعلّم أن يعترف بالطالب بصفته شخصية لها فكرها وآراءها وانطباعاتها ومشاعرها الخاصّة، وأن يقوم بتهيئة الأجواء التعليمية المناسبة التي يكون الطالب فيها ـ عبر مناقشته للأفكار المطروحة ـ هو الذي يبحث ويعمل من أجل اكتشاف الحقيقة. وهذا هو الأمر الذي يغرس في اعماق نفسية الطالب النشاط الذي يعتبر من أكبر الدوافع للتفوّق في عملية التعليم.

٢ ـ التعلّم الذاتي

وهو أسلوب يعتمد على بذل جهد ذهني يقوم بـه المتعلّم وحـده باتباع توجيهات محددة وواضحة تجعله قادراً على تلقّي العلم واكتشاف المعلومات الصحيحة والتغلّب على جميع الصعوبات التي يواجهها دون الحضور عند المعلّم.

ويفضّل البعض اكتساب المعارف بهذه الصورة، حينما يجدون المنفعة العلمية التي يحصلون عليهـا خلال التعلّم الذاتي أكثر من المنفعة التي يحصلون عليها خلال جلوسهم أمام المدرّس، أو حينما يندر وجود أهل العلم المخلصين، ويقلّ توفّر من يمكن الاعتماد عليه، فـفي هـذه الحـالة يكون من الأفضل أن يباشر الإنسان بنفسه الاشتغال في البحث ويتابع سيره وحده وأن لا يتلف وقته في الاستماع إلى غير المؤهلين للتدريس.

وينبغي حين اتباع هذا الأسلوب في تلقّي العلم أن يقوم الطالب بين الحين والآخر بتقويم ذاته وتقويم مقدار حصوله على المعلومات والأطر الصحيحة للمنهجية التي يتبعها، ليرصد حركته العلمية وليحدّد عبر ذلك مدى حاجته لاستكمالها وتطويرها.

القراءة

إنّ القراءة تعدّ جسراً لدخول الإنسان إلى عالم المعرفة، وبها ينفتح الإنسان على دنيا العلم، فيستطيع أن يغترف من معين العلم ما ينفعه في مسيرة حياته.

ولكن الأمر الذي ينبغي الانتباه إليه حين القراءة هو أنّ الإعجاب بالكتابات الأدبية الفاتنة، قد يؤدّي إلى عدم الاهتمام بفحص الأفكار المطروحة فيها، وهذا ما يدفع القاريء إلى الانسياق وراء أحاسيسه وانفعالاته مصدّقاً كلّ ما فيها.

من سمات القراءة الواعية

ينبغي أن لا يقتصر فهمنا حين المطالعة على المعنى الحرفي فحسب، لأنّ التقيّد بالمعاني الحرفية من دون معرفة الأسباب الكامنة وراء الأحداث والأمور المدوّنة، أو من دون استخلاص العبر والمعاني العميقة من النصّ، عن طريق تنشيط العمليات الادراكية والنباهة والاستيعاب والفهم تعدّ نوعاً من أنواع تحجير العقل ومنعه من التحليق في سماء الأفكار وآفاق الخيال الرحب.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ المطالعات المشتتة والقراءة العشوائية في كلّ ما هبّ ودبَّ، وإن كانت لا تخلو من فائدة، لكنّها لا تمنح صاحبها سوى معرفة سطحية ومفاهيم مجزأة ومقطّعة الأوصال وغير منتظمة وغير مترابطة، ومن ثمّ تكون هذه القراءة عاجزة عن تقديم صورة واضحة وبنية معرفية متكاملة عن الحقائق الكونية لصاحبها.

ولا يكون حصاد الإنسان الذي يمارس هذا النمط من المطالعة سوى شذرات متناثرة من العلم. فلهذا يكون محروماً من الرؤية الشمولية للأمور، ومن ثمّ يغدو نطاق وعيه بذاته وبمجتمعه محدوداً وقاصراً.

ومن الأفضل لكلّ من يودّ القراءة في أي مجال من مجالات المعرفة أن يراجع كتابات أصحاب الاسهامات الرائعة والابداعات المتميزة والابتكارات الجديدة، وهم الذين يعيش الكثير من الباحثين على موائدهم، ليكون القارىء بذلك مغترفاً من النبع بصورة مباشرة. وليس من الصعب التعرّف على أمثال هؤلاء، لأنّ المتخصّصين في كل علم وفن يعرفونهم حقّ المعرفة.

كما يحسن بالمرء في مجال القراءة أيضاً، أن يطالع كتباً تعرض وجهة نظر مختلفة عمّا طالعه فيما سبق، لئلا يقع ضحية لوجهة نظر واحدة.

كما ينبغي لكلّ من يودّ ارتقاء مستواه الفكري بالقراءة والمطالعة أن

لا تكون مهمته من القراءة فقط نقل ما في السطور إلى الصدور، بل عليه أن يفكّر فيما يقرأ وأن لا يقتنع بمفهوم دون اختبار صدقه وتقييم دلالته والاطمئنان من صحّته.

٣ـ تنمية الوعي بالتفكير

الوعي بالتفكير يعني القدرة علىٰ تقويم كفاءة التفكير والوعي بالخطوات التي تُتخذ من أجل نيل المطلوب.

وأهم مكوّن في الوعي بالتفكير هو معرفة الخطوات اللازمة والتعليمات الواجب اتباعها ومعرفة الزمن المطلوب والأهداف الأساسية التي ينبغي تخطّيها من أجل تحقّق السلوك المطلوب وبصورة عامة تكوين خطة عمل، ثم الاحتفاظ بها في الذهن ومتابعة خطوات هذه الخطة في السلوك الفعلي بصورة واعية.

وبتقوية الوعي بالتفكير يكون الإنسان قادراً على وصف ما يدور في ذهنه حينما يفكّر، ويستطيع أن يقرّر الخطوات التي يتبعها والعقبات التي يواجهها في حلّ المشكلات، كما يتمكّن من تحديد نواحي النقص في الخطة التي لديه.

ومن خلال نمو الوعي بالتفكير يصبح الإنسان حين مبادرته إلي أي

عمل واعياً بالهدف الذي يبتغيه وملمّاً بالسبب الذي دفعه للقيام بـه، ويكون أكثر اندفاعاً للتعرّف على اكتشاف الجوانب غير المعلومة وربط المعلومات الجديدة بالخبرات السابقة.

وبهذا يكون صاحب هذه العقلية الناضجة أكثر قدرة على التعديل الذاتي لمساراته، وأكثر جدارة في وضع مـنهج مـنظّم للـخطوات التي ينبغي اتباعها من أجل التغلّب على المشكلات، وأكـثر مـثابرة عـلى مواجهة الصعوبات وأكثر شعوراً بالمسؤولية وأكثر اهتماماً بالقيام بمـا يستلزم عليه من أجل تحقق المطلوب. وهـذا مـا يـؤدي إلى ارتـقاء المستوى الفكري.

أسلوب عملي لتنمية الوعي بالتفكير

من أهم الأساليب العملية لتنمية الوعي بالتفكير هي التعبير عـن عمليات التفكير كتابة، وتدوين أهمّ الأفكار التي تخطر على البال.

وبهذه الممارسة يبدأ الفرد يـدرك أسـلوبه في التـفكير، وهـذا مـا يساعده على استكشاف أسلوبه المفضّل في التفكير، ومن ثم يـستطيع تعديله وتنميته ورفع مستواه.

ويأخذ التعبير بالكتابة عما يملأ الرأس أو يخطر على البال أشكالاً

متعدّدة، ككتابة مقاطع صغيرة من الأفكار المتناثرة التي تخطر على البال، أو كتابة المذكّرات أو تسجيل الانطباعات الشخصية، بأسلوب نثر أو شعر أو رأي أو حوار أو نكتة أو تأمّل أو تقييم أو تساؤل أو بأشكال متنوّعة أخرى.

ومن الضروري أن يراجع الإنسان ما دوّنه من أفكار، مرة بعد أخرى، لأنّ ذلك يعينه على إيجاد روابط بينها، والتمهيد لتصنيف منثورها بشكل جيّد، فيتيح له هذا الأمر امكانية تقييم ما يقوم به وتوجيه مساره الفكري نحو الاتجاه الذي يوصله إلى الغاية المطلوبة.

وفي مجال تدوين أهم ما يجول في الخاطر، تساعد مهارة الإنسان في التعبير وثراء رصيده اللغوي ليكون دقيقاً في التعبير، لأنّ هذه المهارة تمنح صاحبها قدرة تبيين ما يجول في خاطره من زوايا متعدّدة وبصورة أكثر شمولية.

٤ ـ تطوير مهارات التفكير

إنّ مهارات التفكير بدورها هي الأخرى من أسباب ارتقاء المستوى الفكري، وذلك فيما لو تمكّن الإنسان من اكتسابها وتطويرها في وجوده. لأنّ الذي يبقىٰ في طراز دان من التفكير يندفع دوماً إلى

استخدام أنماط تقليدية توجب انحساراً لنموه العقلي.

ومن أهمّ المهارات التي تؤدّي إلى تحسين القدرة على التفكير، هي: الطلاقة والمرونة والابداع والشمولية.

والطلاقة: هي القدرة على استخدام المخزون الفكري عند الحاجة، عن طريق تخطّي الحواجز والموانع الموجودة.

المرونة: هي القدرة على التفكير في بدائل متعدّدة من أجل الخروج من المأزق أو الاستجابة للتغيير أو التكيّف مع الأجواء غير المطلوبة.

الابداع: هو انتاج حلول جديدة وغير مألوفة بالنسبة لصاحبه وسوف يأتي التفصيل عن سبل تنمية هذه المهارة لاحقاً.

الشمولية: هي النظر إلى الأشياء من زوايا متعدّدة، وأخذ جميع الفواصل بعين الاعتبار، ولحاظ التبعات والنتائج التي سيترتب حدوثها بناءاً على ما سوف يقام به، والوعي بالغاية والهدف الذي يتم العمل من أجل تحقيقه.

٥ـ ضبط مسار الفكر

إنّ ضبط مسار الفكر عبر المراقبة المستمرة والتركيز على الصور

الذهنية والاغراض الايجابية، والمبادرة إلى استرخاء العضلات واراحة الجسد كلّه، هي الأخرى من العوامل المؤدّية إلى ارتقاء المستوى الفكري.

لأنّ هذه العملية، ولا سيما عملية الاسترخاء عبر ضبط وإبطاء عملية التنفس وإطلاق عضلات الجسد، ومنحها فرصة الاستراحة من الأداء المتواصل تبدد التوتر وتخلّص عضلات الجسد من الضغوط النفسية، فيخلق هذا الأمر حاجزاً يمنع الاثارات العاطفية والانفعالات النفسية من تشويشها للذهن وبعثرتها لاشعاعات الفكر.

وبذلك تفقد الانفعالات النفسية قوتها وسلطتها على التفكير، فيكون المرء سيّد فكره، ويكون قادراً على امساك عنان تفكيره، وصيانة ذهنه من تبديد طاقته بالتفكير المضطرب وغير المنظّم.

وهذا ما يؤدّي إلى صفاء الفكر وسكون تياراته وتوقف ثرثرته، فيشعر الإنسان بحالة من الهناء والاستقرار نتيجة سيادة الهدوء في الذهن. وبذلك تتوفّر لدى الإنسان امكانية ارتقاء مستواه الفكري، لأنّه بعد ذلك يستطيع بسهوله أن يجمع فكره وأن يجعل فكره قوياً ونافذاً وثاقباً.

وتتطلّب عملية ضبط مسار الفكر عن طريق المراقبة والتركيز وصيانة الذهن من الأثر السلبي للانفعالات التحلّي بالصبر والعزم،

ويذل المزيد من الجهد والوقت. لأنّها عملية تنمو وتتأصّل بالتدريج.

وقد تكون هذه المحاولة في البدء شاقة، ولكن يتمكّن كل فرد بالمجاهدة المستمرة والسعي الدؤوب والممارسة المنتظمة أن يمسك زمام تفكيره وأن يوصله إلى أعلى المستويات الممكنة.

٦ ـ صيانة الفكر من الأوهام

يختلط فكر الإنسان تارة بالأوهام، فيؤدي هذا الأمر إلى دناءة مستواه، وبذلك يفقد الإنسان الرؤية الواضحة، فيندفع في حركته المعرفية إلى بناء وصياغة رؤاه على ضوء الأماني، فيغرق في الأحلام، لاهياً عن المشكلات التي تحيط به، وينغمر في الغفلة والسبات بحيث لا توقظه منها إلّا الصدمات.

وتلعب هيمنة الأوهام على الفكر دوراً واسعاً في الاتجاه نحو الانحراف والضلال وتقبّل الخرافات والتقاليد البالية، وخلق أسباب كثيرة تكون وراء عدد من النكبات والمصائب.

ومن أهم الأسباب المؤدّية إلى تلبّس الذهن بالأوهام هي الابتعاد عن النمط الصحيح لتلقّي المعرفة، وقد يساهم في ذلك عدّة عوامل نفسية توجب تثبيط عزيمة الإنسان عن تحمّل جهد وعناء فهم الواقع، لأنّ

الإنسان حين عدم امتلاكه المحفّز للبحث حول الحقيقة والعثور عليها، يضطر إلى التمسّك بالأوهام والاستعانة بها من أجل نيل رؤية خاصة تعينه على حلّ مشاكله في الحياة.

فلهذا ينبغي لكلّ من يستهدف الاطمئنان إلى نتائجه الفكرية أن يحمل على الأوهام الباطلة التي تراكمت على عقله ليحرّر فكره منها.

ومن أهم الأمور التي تساعد الإنسان على مكافحة الأوهام وقلع جذورها الضاربة في وجود الإنسان هي تنقية العقل من الشوائب، وتطهير القلب من الأدران وتهذيب النفس من الهوى، وهي مواضيع سوف يتم البحث عنها في الفصول الآتية.

٧ـ تمتّع الذهن بالحرية

إن الكبت والمنع من التفكير بحرية لا يثمر إلّا دناءه المستوى الفكري والابتعاد عن الموضوعية والأمور الواقعية. لأنّ العقل حينما يُمنع من حرية النظر إلى الواقع، فإنّه يصطنع لنفسه عالماً من الخيال ينطلق فيه ويعود إليه في حركته النظرية، وينزع نحو الفكر التجريدي، ويهيم في العالم المثالي والافتراضي وغير الواقعي.

وكلّما يشتد الاضطهاد بسلب حرية الفكر، تتكاثر الظواهر العقلية

البعيدة عن الواقع والمائلة نحو التفكير التجريدي المثالي.

وفي الحقيقة، إنّ الاستبداد الذي يحاول تعطيل حرية الفكر بالمنع والقمع لا ينتج سوى الانغلاق على الرأي الواحد ونمو التعصّب له والتشبّث الأعمى به. ويفضي ذلك إلى لون من الوان الحجر يضرب على العقول ليجعل أصحابها أمعه ومتّصفه بطبيعة القطيع ونفسية العبيد.

فلهذا لا يتمكّن الإنسان من رفع مستواه المعرفي إلّا عن طريق التحرر من جميع القيود التي سوف نشير إليها في الأبحاث القادمة.

سبيل الوثوق بالنتائج الفكرية

إنّ الفكر حركة يقوم بها الإنسان في ذهنه، ليصل عبرها إلى الصورة الذهنية المطابقة مع الواقع والحقيقة. وأمام هذه الحركة عقبات كثيرة، تصدّ هذه الحركة عن ممارسة نشاطها بالصورة المطلوبة.

فلهذا يتعيّن على كل من يبتغي تحسين مستواه الفكري أن يلمّ بكل ما له صلة أو تأثير على صياغة فكره، ليسعه بعد ذلك من رسم منهج يسدّد خطاه، ويبعده عن مزالق الزلل والانحراف، ويعينه على تحرير فكره من أي تأثير سلبي يدخل في نطاق اختياره وارادته وله القدرة

على تغييره أو الابتعاد عنه.

وكما هو واضح أن كيان الإنسان كتلة ذو جوانب متعدّدة وأبعاد مترابطة بحيث لا يمكن ايقاع الانفصال بينها، أو الوقوف بوجه تأثير بعضها على الآخر، ولهذا لا يمكن رفع مستوى التفكير دون الالمام بتأثير الجوانب الاخرى عليه.

وفي كيان الإنسان يترك كل من العقل والقلب والنفس تأثيرهما على طريقة تفكير الإنسان. ولهذا لا يستطيع الإنسان أن يطمئن بسلامة قضاياه الفكرية أو يثق بنتائج أفكاره واستقامة مناهجه ما لم يتمكّن من الالمام بكافة التيارات المعاكسة التي تحاول أن تقف عائقاً بين المرء وبين الحقيقة لتحجب بصيرته عن الرؤية السليمة والصحيحة وتحاول أن تلوي عنقه حتى يتقبّل رؤية الحقيقة وفق ما تنسجم مع اهوائه ومصالحه ومآربه الشخصية.

فلهذا ينبغي لكلّ من يودّ الوثوق بنتائج افكاره أن يقوم قبل كل شيء بمعرفة الأجواء المحيطة به وأثرها على تفكيره، لأنّ الأجواء هي من أهم الدواعي لتشكيل المثيرات التي تدعو إلى التفكير، وأنّ كل تفكير عموماً يتأثر إلى حدّ كبير بثقافة مجتمعه وقيمه وعاداته وتقاليده والمشاعر الاجتماعية والدينية والقومية الحاكمة عليه.

ومن هنا، لا يتمكّن الإنسان أن يتجاوز النمط التفكيري السائد في

مجتمعه لرؤية القضايا إلّا عن طريق تنمية وعيه ورسم خطّه تعينه على التجرّد شيئاً فشيئاً عن النمط التقليدي والارتفاع إلى رتبة النظر الموضوعي.

كما يستدعي أمر الاطمئنان بسلامة الفكر أن يقوم الإنسان بمعرفة نفسه والالمام بكيفية الكفاح الواعي من أجل مغالبتها ووقاية الفكر من أهوائها. لأنّ الشروط النفسية تتحكّم بكلّ علاقة بين الذات المفكرة وموضوع التفكير، ولا يتمكّن أي إنسان أن يتعامل مع موضوع ما دون التفاعل معه بعاطفة ايجابية أو سلبية.

والتفاعل الايجابي بين الذات والموضوع يلغي الحواجز ويسمح باقامة العلاقة الحقيقية بينها، وفي المقابل يمنع التفاعل السلبي صاحبه من رؤية الموضوع إلّا من زاوية ما يسيء إلى الموضوع ويشوّه صورته.

وبصورة عامّة، فالفكر لا يمكنه معرفة الحقيقة إلّا إذا اتّسمت نظرة صاحبه بالنظرة الواعية التي تسير بخطى ثابتة ومعها يقين يضيء لها الطريق ويعينها على تخطّي كل الصعاب بارادة لا تلين وعزم لا يفتر.

ومن هنا، يتطلّب الأمر منا إجراء دراسة موجزة حول كل من هذه الجوانب المرتبطة بالعقل والنفس من أجل معرفة دورها وأثرها في صياغة الفكر والالمام بما ينبغي القيام به لتنمية الوعي وصيانة الفكر من جميع الشوائب التي تخلّ به.

الباب الثاني

العقلية الواعية

الفصل الأوّل

العقل

يعدّ مفهوم «العقل» من المفاهيم التي طال الجدل حوله، فلهذا اختلفت فيه النظريات وتعدّدت حوله التعاريف وتنوّعت فيه الآراء، وتلوّنت منه المواقف نتيجة اختلاف كل صاحب موقف عن غيره في اختياراته المذهبية وانتماءاته الفكرية.

ومن هذا المنطلق تكاثرت وتعدّدت المناظرات بشأنه، بحيث أدّى هذا الوضع إلى اثراء هذا البحث وتنوع مطالبه.

تعريف العقل لغة واصطلاحاً

يطلق «العقل» في اللغة ويراد به عدّة معان، منها: التثبت في الأمور والامساك والامتناع والشدّ والحبس، يقال: عقلت الناقة؛ إذا منعت من السير، ويقال: عقلَ (بفتح اللام) الرجل إذا كفّ نفسه وشدّها عن المعاصي، وقيل: العاقل: الذي يحبس نفسه ويردّها عن هواها.

هذه هي المعاني اللغوية الرئيسية التي تكاد تجمع عليها كتب اللغة حول العقل، وتندرج تحتها ـ تقريباً ـ جميع المعاني الأخرى التي ذكرت لهذا المفهوم.

وورد أيضاً في هذا الخصوص: أنّ العقل سُمي عقلاً، لأنّه يعقل ـ أي يحبس ـ صاحبه عن التورّط في المهالك. فالعقل ـ اذن ـ قيد يحول دون انطلاق الإنسان فيما يشينه أو يضرّ به أو ما لا يليق به، أي أنّه بطبيعته يعقل النفس عن التصرّف العشوائي الناتج من مقتضى الطبع.

وأما «العقل» في المعنى الاصطلاحي، فمهما اختلفت وتضاربت أو تداخلت التعاريف حوله، فإنّها تلتقي جميعاً أمام نقطة مشتركة هي اعتبار العقل هو العنصر الاساسي في الفعل المعرفي البشري، وهو القاعدة الأولى التي ينطلق منها الإنسان متأملاً وناظراً ومستنبطاً ومدركاً لحقائق الأشياء، وهو الوسيلة الوحيدة للاهتداء إلى الصواب، ولكن بشرط أن يعمل بعيداً عن المؤثرات السلبية التي سوف نشير إليها لاحقاً.

مهمة العقل

إنّ العقل وسيلة منحها الباري عزّوجلّ للإنسان لتكون دليلاً له في جميع مراحل حياته، وليشقّ الإنسان بها طريقه في الحياة بأفضل صورة ممكنة.

وقد جعل الباري سبحانه وتعالى في العقل قدرة قيادة صاحبه إلى

معرفة مصدر الاهتداء إلى الدين القويم، لأنّ العقل قادر في بعض الأحيان على التمييز بين ما ينفع صاحبه وما يضرّه وبين ما فيه الربح له وما فيه الخسران.

والأهمية البالغة للعقل أنّه يمثّل حجة الله سبحانه وتعالى على الخلائق وبه يحاسب الله عباده ويتمّ عليهم الحجة.

حدود عمل العقل

يجدر بالإنسان الواعي أن يحيط علماً بنطاق قدرته العقلية، لئلا يحمّل نفسه ما هو فوق قابليته، وليصون بذلك طاقته العقلية من الضياع والتبدّد في محاولات عقيمة للبحث عن جواب أسئلة لا طائل تحتها، أو قرع أبواب الغيب والطمع فيما وراء المادة، ممّا توجب ضياع النفس وراء سراب زائف وتؤدّي إلى وقوع الإنسان في الأوهام والظنون والتفسيرات العقيمة والتأملات النظرية العابثة.

لأنّ الإنسان ينبغي أن يفرّق بين المنطقة التي لا يقوى العقل على اقتحام أسوارها وبين المناطق الشاسعة التي يتمكّن من اختراقها.

فإنّ مجال العقل وميدانه هو عالم الحس والشهادة والتجربة، وأنّ العقل لا يستطيع أن يكشف النقاب عن الغيب المحجوب بظلمات

الماضي أو المخبوء وراء غياهب المستقبل.

فلهذا يعتبر عالم الغيب هو المنطقة الممنوعة التي لا يستطيع العقل أن يلمسه أو يطرق بابه، لأنّ العقل لا يمتلك الوسائل والأدوات التي تمكّنه من الخوض في قضايا هذا العالم.

وقد أمر الله سبحانه وتعالى البشرية أن تستعمل عقلها في المجالات التي يمكنها أن تتوصل فيها إلى الحقيقة، وأن لا تزجّ عقلها في موضوعات الغيب، لأنّ زجّ العقل في غير دوائرة اهانة له وحطّ من قدره.

وأما بالنسبة إلى معرفة الغيب، فإنّ الإنسان لا يتمكّن من الاهتداء إليه إلّا بالشرع، والشرع هو الجهة الوحيدة الكفيلة بتوسيع أبعاد عقل الإنسان واثرائه بهذا العالم.

نمو العقل

إن العقل يُخلق وفيه قابلية للكمال، ويكون كماله بالتربية والتغذية بالعلم. وتربية العقل تكون في كثرة استخدامه وفق المنهجية القويمة التي مرّ ذكرها في التفكير، كما أنّ العقل ينمو من خلال المبادرة إلى اكتساب المعرفة ومن ثم تفعيل الأفكار وتوجيه عمليات التفكير عبر التدريب المتواصل.

وقد حث الباري عزّوجلّ جميع البشرية على استعمال هذه الموهبة،

واخراجها من حالة الركود والعطالة وقد حذّر تحذيراً شديداً من عدم استخدامها وعدم الانتفاع بها.

ولقد اعتنى القرآن الكريم عناية بالغة بالعقل، فاستنهض الهمم حتى لا يفقد العقل قوته في إدراكه لسنن الحوادث والاعتبار منها.

وبصورة عامة، فإنّ الله سبحانه وتعالى ركّب العقل في وجود الإنسان ليستعين الإنسان به في الاهتداء إلى الحق. ولهذا أكّد الباري على اخراجه من حالة الركود والعطالة.

استخدام العقل في أمور الدنيا

إنّ الإنسان قد يستخدم عقله لأمور الدنيا، فيكون محور اهتمام العقل هو رؤية المنفعة ودفع المضرّة في الدنيا.

وذلك لأنّ العقل موجود أيضاً فيمن لا يؤمن بالله واليوم الآخر، أو فيمن قد أعرض عن آيات الله ونسي ذكره، لأنّ العقل هو حجة على صاحبه.

ولهذا سُمي بعض الكفّار من أهل الكتاب عاقلاً في القرآن، لبيان الذي لزمتهم به الحجة، فقال تعالى حولهم:

﴿يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَاعَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥] أو كما يحكيه

الله سبحانه وتعالى من قول أهل النار: ﴿ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيَ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الملك: ١٠].

ممّا يدلّ على أنّه كانت لهم عقول واسماع لزمتهم بها الحجة ولكنّها لم تعقل عن الله عزوجلّ.

وأما سبب عدم تعقّل الذين كفروا أو الذين فسقوا، فهو يعود للحجب التي خلقها هؤلاء نتيجة اتباعهم للأهواء، لأنّ من طبيعة هذه الحجب أنها تعمي البصائر فتمنعها عن رؤية الحق، وهو الأمر الذي سوف يأتي التفصيل عنه لاحقاً.

توظيف العقل للهداية

ذكرنا أنّ العقل هو حجّة الله على خلقه، وبه يتمّ الباري عزّوجلّ حجته على عباده، ولكن العقل لا يستطيع أن يعقل أمر الآخرة إلّا بنور الإيمان، فلهذا تكون مساهمة العقل في البدء من دون نور الإيمان محدودة، وتصلح في حدّ ذاتها أن تكون بدءاً في سلّم الهداية.

وبنور الإيمان يستطيع الإنسان أن يشق طريقه لنيل اسمى مراتب القرب إلى الله سبحانه وتعالى، والوسيلة إلى ذلك هو العمل الصالح، ومن دون ذلك فالعقل لا يستطيع أن يبصر طريقه إلى الآخرة.

ولهذا فالشرط الأول الذي يتطلّبه العقل ليكون مفيداً وهادياً لصاحبه إلى الرشاد هو الاستضاءة بنور الإيمان. ومن هنا فالكفار والمشركين لا يمكنهم التعقّل في أمر الآخرة بصورة كاملة، لأنّ العقل عندهم معطّل فيما يخصّ الاهتداء إلى أمر الآخرة، وهم لا يبصرون نتيجة معيشتهم في دائرة ظلام الكفر والنفاق، وقد كتب الله على نفسه أن لا يخرج أحداً من الظلمات إلى النور إلّا الذين آمنوا.

فلهذا يكون الكفّار محجوبين عن الهداية وعن التعقّل ما داموا في كفرهم يعمهون، وقد قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَـٰرًا وأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُواْ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ﴾ [الاحقاف: ٢٦].

ويفترق أيضاً حظّ الموحّدين والمؤمنين من التعقّل في أمر الآخرة، ويرتبط ذلك بمقدار الحجب التي تحيط بصيرة كل منهم، من قبيل: الأهواء والرذائل والذنوب و...

وملخّص القول أن العقل يستمدّ بنور الإيمان بُعداً جديداً يمكّنه من استيعاب حقائق ما كان ليعرف عنها شيئاً لولا هذاالنور. ولهذا لا يستطيع الإنسان أن يرفع مستوى وعيه العبادي إلّا بعد أن يضيء عقله بنور الإيمان.

وأما الهدف من دعوة الله سبحانه وتعالى إلى التفكّر والتذكّر

والتأمّل في آيات الكون هو أن ينفتح الإنسان عبر هذه الأمور على عالم النور، فيحصل على البصيرة التي ترشده إلى الإيمان والهداية، لأنّ هداية الله محقّقه فقط لمن يخرجه الله تعالى من الظلمات إلى النور.

الفصل الثاني

العقلية

إن المعلومات والمعارف والخبرات التي يكتسبها الإنسان تتحوّل نتيجة تراكمها إلى أفكار وآراء وقناعات تشكّل العقلية لدى الإنسان. فالعقليه ـ اذن ـ هي الاطار الفكري المرجعي والتكوين الثقافي والقناعات التي يسلّم بها الإنسان بغض النظر عن صحّتها أو خطئها. وهي عبارة عن جملة من المفاهيم التي تغدو عند الفرد بمثابة المسلمات التي لا تقبل الجدل. ومن هذه المسلّمات تتشكل هوية الإنسان الفكرية الخاصّة به، إلّا أنّها تكون ـ عادة ـ مؤطّرة بهوية الجماعة التي ينتمي إليها.

ومن هذا القبيل:

يقال: عقلية مادية، وهي التي ترى أنّ النفعية والمصلحة هما الهدف الأساسي في الحياة وأن الدين أمر لا صلة له في الحياة المدنية العامة.

أو يقال: عقلية الحادية، وهي التي تنكر وجود الخالق.

أو يقال: عقلية دينية، كاليهودية والنصرانية والاسلامية، ولكلّ منها مسلّمات عقائدية يؤمن بها اصحابها ويرون صوابيتها.

ويتفرّع من هذه العقليات عقليات أخرى، فيقال مثلاً: عقلية قومية أو وطنية أو صوفية أو مذهبية أو غيرها.

وقد نسبت هذه القناعات والأفكار إلى العقل رغم كونها ـ في بعض الأحيان ـ تافهة أو سطحية أو غير لائقة، لأنّها تأتي إلى الإنسان عن طريق تفكيره ثم تخيّم في العقل وتجد من العقل موطناً لها.

وللعقلية دور كبير في التأثير على تقييم الإنسان للافعال والأقوال، لأنّ العقل المجرّد لا يقوم وحده بالتقييم، بل للعقلية المكتسبة دور كبير في هذا المجال. فلهذا ينبغي لكلّ فرد أن يراقب نفسه، ليتمكن من صياغة عقليته بأفضل صورة ممكنة، وعليه أن ينتبه بدقة إلى ما يتسرّب إلى عقله حين اختلاطه بالمجتمع الذي يحيطه ليستطيع بعد ذلك من اكتساب عقلية واعية ومتلبّسة بإطار فكري يعكس له الواقع كما هو عليه.

العقلية المنفتحة

العقلية المنتفحة هي العقلية التي فيها قابلية ومرونة لتقبّل كل جديد بعد اخضاعه للدليل والبرهان. والشخص المتحلّي بالانفتاح العقلي هو شخص يقبل امكانية عدم صحّة أفكاره، فلهذا يصغي برحابة صدر

إلى أدلّة من يخالفه في الرأي، ولا يتهيّب من تغيير اعتقاده إذا توفّرت الأدلّة الكافية والبراهين الكاملة على خطأ ما كان عليه.

والانفتاح العقلي ليس ميلاً فطرياً عند الإنسان، بل هو أمر اكتسابي، لا يمكن الحصول عليه إلّا بالتحرّر من سجن الانانية، والانطلاق في عالم الأفكار الرحب، من أجل التعرّف على وجهات نظر الآخرين وفهم مقاصدهم.

ومن سمات العقلية المنفتحة أنّها تميل إلى التجديد وتهوى النشاطات الفكرية التي تنمّي العقل والتي تتطلب التهيئة الذهنية، وأيضاً من سماتها أنّها تنبذ النشاطات الروتينية التي لا تحتاج إلى التفكير، فلهذا تكون قادرة على التكيّف مع المتغيّرات المستقبلية بسهولة والعمل في حدود واسعة المدى.

ولكن الانفتاح يحمل في طياته مجموعة آثار سلبية، ومنها: الالتقاط الفكري، لأنّ الذي ينفتح فكره على أفكار ورؤى وثقافات عديدة،

يتعرّض بعض الأحيان إلى دفق حضاري يخالف مكوّناته الفكرية الأساسية، فيعجز عن استيعاب الأفكار الجديدة وهضمها وتحديد الموقف منها، ومن ثم لا يسعه الوقت ليرى هل تنسجم هذه الأفكار التي اقتبسها من مدارس فكرية متعدّدة فيما بينها، فيأخذ جانباً من جوانب فكرة معيّنة ثمّ يخلطها بمضامين فكرة أخرى بحيث يبدو هذا

الأمر نشازاً وغير متناسقاً وهو غير ملتفت إلى ذلك.

فلهذا ينبغي لكلّ باحث واع أن ينتبه إلى هذا الأمر حين انفتاحه على تراث باقي الأمم لئلا يقع في أمر التلفيق وانماط الالتقاط وتـقبّل الأفكار الهجينة.

العقلية المنغلقة (التقليدية) (المتحجرة)

وهي العقلية التي تحكمها الأفكار والقيّم التي قد ورثها الإنسان من البيئة التي عاش في كنفها فتقبّلها دون إعمال للعقل. وانغلاق العقل يعني انغلاقه داخل دائرة اطروحات وقضايا اصبحت هي التي تتحكّم برؤية العقل للواقع وتجعله لا يعيش الواقع إلّا على مستوى القضايا والأفكار المصاغة سابقاً.

ومن سمات هذه العقلية أنّها تضع لنفسها أصولاً ثابتة وأطراً محدّدة ثم تفترض عدم امكانية طروء أي تغيير عليها، فلهذا يرفض صاحب هـذه العقلية أية فكرة أو معتقد جديد خارج تلك الأطر التي قد جمّد فكره عليها.

فلهذا يقف صاحب هذه العقلية موقف المتشكّك من جميع الأمور الجديدة، فلا يلتزم سوى الطرق التقليدية المعروفة، ولا يستعمل عقله لتطوير الطرق الموصلة إلى الأهداف التي ينشدها، بل يعتمد دائماً على

الآخرين ويميل إلى اتباع القوانين والتنظيمات التقليدية.

ومن الصفات الأخرى التي يتميّز بها أصحاب هذه العقلية: حبهم والتزامهم ومسايرتهم للأمور التي عفا عليها الزمن، وكراهتهم وانزعاجهم من كل عاده أو عرف أو فكرة جديدة. لأنّ من وجهة نظر هؤلاء أن كل شيء قديم هو حق ومقدّس وصحيح وهو أقرب للتقوى والتديّن، فلهذا لا يجرأ هؤلاء الاصطدام بما هو شائع عرفاً ولو كان خاطئاً، ولا يتقدّم هؤلاء لمواجهة أمرٍ ذائع مهما بلغ فساده، لأنّهم يرون أن القدم له اصالة وله قيمة وامتياز في حدّ ذاته!

وأيضاً من أبرز ملامح وسمات هذه العقلية هو ركود الفكر وعطالة العقل والانغلاق على الرأي الواحد والتشبّث الأعمى به والتعصّب له، والنظر إلى الأمور من زاوية معيّنة وعدم ادراك الابعاد العديدة، وضعف الأُسس والمرتكزات العقائدية وضيق الأفق والنظرة السطحية وعدم النفوذ إلى لب القضايا وعمق المواضيع، وفقدان الرؤية الواضحة والوقوع ضحية للتحيّز والتعميم والتسرّع في الأحكام و...

ومن آثار هذا النمط من التفكير المنغلق، حرمان صاحبه من رؤية الحقيقة باكملها، لأنّه لضيق أبعاد رؤيته، لا يرى إلّا جانباً من جوانب الحقيقة، فتغيب عنه الجوانب الأخرى، لأنّ الرؤية الشمولية تحتاج إلى عقلية منفتحة وتتطلّب الوعي والمتابعة وتلقّي المعرفة، وهي أمور

تفقدها العقلية المنغلقة، فلهذا تكون رؤيتها للحقيقة قاصرة.

وهذا النمط من الرؤية للحقيقة شرّ من الجهل بها، لأنّها نظرة تجعل صاحبها ضيّقاً في آفاقه الفكرية، فيحسب أنّه يعرف كل شيء، في حين أنّه لا يعرف إلّا الجزء من الواقع. فلهذا يفقد أصحاب هذه العقلية القدرة على تحمّل الآراء المخالفة، فلا تتسع عقولهم للآراء المخالفة، فيكون تعاملهم مع من لا يتفق معهم في الرأي ممزوجاً بالانفعال والرفض والحدّة والعصبية.

واخطر ما في الانغلاق أنه يدفع صاحبه، ليكوّن لنفسه عالماً خاصاً يظنّ أنّه العالم كلّه، ومن هنا تعشعش في ذهنه الأفكار المغلوطة والمعايير الخاطئة عن الواقع المعاش، وهذا ما يدفعه إلى الانهيار بمجرد الاحتكاكات الجادة مع من يعيشون خارج دائرته.

ومن أهم الأمور المساهمة في تكوين العقلية المنغلقة هو الانغلاق وعدم الانفتاح على الآخرين، لأنّ الانغلاق يمثّل ستاراً يحول دون حدوث تمازج فكري مع الآخرين، فيؤدي هذا الأمر بالعقل إلى التفكير في اتجاه واحد، وذلك نتيجة حرمانه من التلاقح الفكري مع الآخرين.

كما أنّ معيّة اصحاب العقول المنغلقة هي أيضاً من الأمور المساهمة في تكوين العقلية المنغلقة لدى الإنسان، لأنّ أصحاب هذه العقول

يحاولون كبت المشاعر الابداعية لمن يصاحبهم واعاقة انتاجه الفكري وتوقيف تأملاته واخماد أفكاره الابداعية وذلك برفضها أو قمعها أو الاستهانة بها، فهم لا يمنحون من يصاحبهم فرصة تحسين قدراته الفكرية، ولا يشجّعون الآخرين على ايجاد روابط متعدّدة بين أفكارهم وبين الأشياء، بل دأبهم شنّ الهجمات على من يريد أن يتبصّر لأنّ الذين طال عيشهم في الظلام يؤذيهم النور ويجرح ابصارهم!

فلهذا ينبغي لمن يود اكتساب العقلية المنتفحة أن يوفّر لنفسه المناخ المناسب لما يبتغيه، لئلا يتحوّل عقله إلى العقل المنغلق، ولئلا يغدو شخصية مقموعة واتكالية وأمعة وفاقدة للثقة، تعتقد أن الاجابة عن الأسئلة المطروحة في ذهنها لا توجد في عقلها بل ينبغي الانتظار حتى يفسّر الآخرون لها الأمور.

العقلية الناقدة

العقلية الناقدة هي العقلية التي لا تقبل كل ما يقدّم إليها دون بحث وتمحيص وتقويم شامل ومحاكمات عقلية.

وتنمو هذه العقلية لدى الإنسان بتنمية تفكيره المنطقي نحو الأحداث وتنمية رغبته في اكتشاف الحقيقة وتوفير الأجواء المحفّزة على

التأمل والتحليل، والاجتناب عن الأجواء التي تقوم بقمع هذا النمط من التفكير عبر الاستهانة به أو عدم الاكتراث به.

وبهذه العقلية ينمو وعي الإنسان ويتحرّر فكره عبر اختبار الآراء وتقويم الأفكار والأحداث من خلال معرفة المعايير الصحيحة والالتزام بتطبيقها والبحث عن جواب سلسلة مفتوحة من التساؤلات.

وبهذه العقلية يستطيع الإنسان أن يضمن بقاءه على المسار الصحيح وأن يكوّن عنده وجهة نظر متوازنة وغير منحازة، وأن يعرف مدى صلاحية الأفكار التي يتبنّاها وكفايتها لاصلاح وتطوير الواقع، وبها يتمكّن من اختبار ما إذا كانت الأفكار قد بقيت دون تزييف أو لا.

ومن آثار هذا النمط من التفكير أنّه يهدف إلى ارتقاء تفكير الاشخاص لكي يصبحوا موضوعيين عند اتخاذ القرارات، وبه يغربل الإنسان أفكاره، فيفرز اللامعقول عن المعقول والمستحيل عن الجائز، فيصون بذلك عقله من الاضطراب والاختلال في التفكير.

كما أنّ الإنسان بهذا النمط من التفكير يكون صاحب عقلية متمتعة بمهارة تفكير عالية وقادرة على معرفة الدوافع المنطقية وراء استخدام القوانين وتشخيص الطرق الصحيحة التي توصل الإنسان إلى اهدافه المنشودة، وتقيه من السير في الطرق الخاطئة.

وبهـــا يـتمكّن مـن تحــليل وتـطوير الأفكــار التي يخـلقها لحــلّ مشكلاته، فيستعرض الفرد أثـناء التـفكير النـاقد الأفكـار المخـتلفة، فيقارن بين البدائل المتعدّدة ثم يحسّنها من أجل التوصّل لحكم صائب وقرار ذو فعالية.

إذن، في حلّ المشكلات لا تنفع عملية توليد الأفكار لوحدها، كما أن التحليل والتقييم لعدد معيّن من الآراء لا يمنح الفرد الحلّ المناسب، بل يكون التكامل بين التفكير الابداعي والتـفكير النـاقد هـو الذي يوصل الإنسان إلى أفضل الحلول.

التفكير الناقد البنّاء

إنّ التفكير الناقد الصحيح لا يعني التفكير الذي يبحث عن الأخطاء والجوانب السلبية فقط أو توجيه الانتقادات الهدّامة للـغير أو اثـارة مشاعرهم أو ارباك نفوسهم من خلال الاستفزازات المغلّفة بالمنطق أو التحدّي الذي لا يقبل التعايش مع الآخرين.

لأنّ هذا النمط من النقد غير البنّاء ينطلق من الأنا، وتكون غـايته تحطيم الفكر الآخر والسيطرة عليه واحلال فكره محلّه.

أمّا التفكير الناقد البنّاء، فهو تفكير يعترف بالآخر ويحترمه، وإنّما

يتوجّه إلى تصحيح أفكاره من منطلق الحبّ له وإرادة الخير له، ليلفت نظره إلى الخطأ الذي هو عليه، فيدعوه إلى البحث في الأفكار المختلفة من أجل تحسين وضعه القائم وتطوير ما هو عليه.

كما أنّ التفكير الناقد الصحيح ليس وسيلة لحماية النفس من عناء التنفيذ والمسؤولية كما يستخدمه البعض لنقد المشاريع وتحطيم فكرتها ليقتلوا المشروع وليستريحوا من عناء متطلبات تنفيذه وليزيحوا عن كاهلهم تحمّل المسؤولية، بل هو وسيلة لتطوير المشاريع ورفع مستوى نجاحها على أرض الواقع.

حساسية النقد

تعتبر مسألة نقد الآخرين من القضايا الحساسة، لأنّ المشكلة تكمن من تحسّس معظم الناس من النقد، فلهذا يستدعي هذا الأمر الكثير من التريث والبصيرة والتجرّد.

فلهذا ينبغي أن يكون النقد المطروح على الآخرين نقداً بنّاءاً ومقترناً بالشروط الموضوعية اللازمة أو بطرح البديل الموضوعي الصالح من ناحية أخرى، لأنّ طبيعة الإنسان عموماً ـ كما قلنا ـ أنّه يستصعب تقبّل النقد الموجّه له ولأفكاره، لأنّه في الغالب يعتبر أفكاره

امتداداً لنفسه وأنّ تحدّيها يشكّل تحدّياً له، فلهذا يستصعب قبول وجود نسبة من الخطأ في ثنايا تفكيره.

فلهذا ينبغي للمنتقد أن يخلق أجواءاً يسودها الحبّ والتوافق مع الآخرين ليوفر لديهم القدرة على تلقّي النصح أو قبول النقد البنّاء.

وأما إذا كان السبب الحقيقي للنقد هو الرغبة في إظهار الذات على حساب ذات الآخرين، فانّها ستفرز الكثير من الآثار السلبية، لأنّها ستؤدي إلى جرح مشاعر الآخرين وسحق كرامتهم وتحطيم شخصيتهم، وهذا ما سيدفعهم إلى ردود فعل غير محمودة.

ومن هنا يتحوّل الموقف إلى منهج سجالي يوحي بالتهكّم، فتتحكّم به حالة الانفعال، فيحاول كل من الطرفين إخفاء الحقيقة أو تضييع جوهرها من خلال اتباع طريقة الخلط بين المفاهيم والقضايا المتعدّدة أو التوجه إلى الأمور الهامشية التي تبعد النقاش عن هدفه العلمي وتحرّفه عن مساره الأساسي.

كما أن البعض أيضاً يتحسس من النقد البنّاء، وسبب ذلك أنّهم يعتقدون الكمال في نفوسهم، أو أنّهم لا يمتلكون القدرة على الفصل بين القضايا العلمية والقضايا الشخصية، فيكون عند هؤلاء الانتقاد لفكرة من الأفكار تعني التسقيط لصاحب الفكرة، وهذا خطأ يرتكبه هؤلاء في جانب الحقيقة، ومن هنا تكون النتيجة المزيد من افرازات المناعة

ضد أي نقد وتقييم، ومن ثم يبقى الكثير من أبناء المجتمع على المسار الخاطىء لفترة طويلة، ولا ينتبهون إلى اخطائهم إلّا بعد فوات الأوان.

فلهذا ينبغي أن يوطّن كل انسان نفسه على تقبّل النقد المعقول لأفكاره، وأن يعي كل فرد أن هذه الأفكار النقدية تجعله في حصن حصين من الوقوع في الأخطاء وفي أسر الدعايات المضللة التي تلهي الناس وتدفعهم إلى أن يبنوا عليها الكثير من عواطفهم.

العقلية المبدعة

العقلية المبدعة هي العقلية القادرة على إنتاج أفكار ونظريات جديدة ومبتكرة، وهي عقلية تنصب على توليد أفكار جديدة واتّباع طرق غير مألوفة وغير تقليدية بدلاً من الاختباء الآمن وراء طرق التفكير المعتادة في تخطي العقبات التي تحول دون تحقق الأهداف.

فإنّ العادة تجعلنا أن نتقبّل الحلّ الذي يظهر لنا لأوّل وهلة، لكن التفكير الابداعي هو القدرة على كسر الحدود التي يفرضها الروتين والفهم التقليدي للأمور، وفتح مجالات جديدة للعقل.

ويرى صاحب العقلية المبدعة أنّ الأفكار والطريق القديمة التي كان يتبنّاها لتمشية أموره وحلّ مشكلاته لم تعدّ صالحة، وعليه أن يتبنى

أنماطاً جديدة متّصفة بالثراء والتنوع من الأفكار، ليطوّر نفسه وليقلّل نسبة ضياع الوقت والجهد حين الانتاج والعمل.

ومن سمات أصحاب هذه العقلية هي الانفتاح على الخبرات الجديدة وحب الاستطلاع والتأمّل والتطلّع للاكتشاف والرغبة في البحث عن الانماط الجديدة وغير التقليدية وعدم الرغبة في مسايرة المناهج السائدة.

وكل ما يحتاجه الإنسان لايقاظ القدرة الابداعية في عقله هو الظروف الملائمة التي يشعر فيها الفرد بحرية وانفتاح وتقدير ايجابي وحيوية وحماس، وأيضاً الجو الذي يبني لدى الإنسان القدر الكافي من الثقة بالنفس، بحيث تدفعه هذه الثقة إلى المخاطرة في ارتياد المجهول بالتفكير الابداعي.

لأنّ الأجواء التي تسودها الثقة تتيح لكلّ فرد أن يبدي آراءه وأفكاره دون تخوّف، فيكون المناخ العام بنّاءاً وايجابياً ومستعداً لتنمية الابداع. في حين إذا كان الجو مشحوناً بالتوتر والتوجس فإنّ المناقشات تتحوّل إلى مجالات تستهدف اصطياد الأخطاء، فيحبّذ الأفراد السلامة، وتعتريهم حالة التراخي، فيندفعون إلى وضع التبريرات من أجل التمسّك بالوضع الراهن.

سبل تنمية التفكير الابداعي

وأما سبل تنمية التفكير الابـداعـي، فمنها: تـنمية حبّ التـعرّف على المجهول وحب الاستطلاع والرغبة في البحث وايقاظ القدرة على التفكير المركّز، وتحريك العقل عن طريق الاستعانة بقدراتـه لتـقليب المسائل على كلّ وجوهها والتفكير بابداع وابتكار مـع نـبذ الانمـاط التقليدية، والاستمتاع بالتفكير المرتّب عن طريق ازالة جميع العوامل المشتّتة للفكر والتحلّي بالطلاقة والمرونة الذهنية عبر توسيع آفاق التفكير.

كما يستدعي أمر تنمية الابداع إلى تحرير العقل من الاغلال والقيود التي تحول دون قيام الفرد بالتفكير الابداعي، والتي تـعوق اسـتغلاله لقدراته الفكرية، منها: الضغط العصبي والانفعال والقلق والتوتر الذي يلقي العبء الثقيل على الخلايا العصبية، فيؤدّي إلى التشويش الفكري الذي يقف عائقاً أمام حرية العقل في الابداع والتفكير.

فلهذا ينبغي لمن يريد تنمية العقلية الابداعية في وجوده أن يـقوم بدراسة اسلوب حياته وطرق تعامله مع المواقف الملحة وتعديلها، كي يتمكّن من اكتشاف الطرق التي تتيح له قدرة التغلب على توتره

وانفعالاته وهو المبحث الذي قد أفردنا له فصلاً فيما سيأتي.

الفصل الثالث

العقل الموضوعي

إنّ الموضوعية تعني أن يتجرّد الإنسان حين البحث من الآراء المسبقة والافتراضات السائدة ومن جميع العوامل التي تحجب بصيرته عن رؤية الحقيقة.

وتتطلّب الموضوعية أن يكون الإنسان حريصاً من أجل الوقوف على الحقيقة وأن يقصد الباحث التعلّم لا البرهنة عل شيء قد تعلمه من قبل.

وباتّباع الموضوعية يتمكّن الانسان من الوقوف على الحقيقة ورؤيتها من خلال ما يريد الموضوع أن يظهر به نفسه، لا من خلال ما يريد الباحث أن يراه عليه. كما يتمكّن الإنسان في هذه الحالة أن يعطي الحقيقة ما يتناسب مع حجمها من الاهتمام والعناية.

ولا يقتصر أمر الموضوعية في نطاق البحث، بل يمثّل التعامل مع الحقائق جزءاً هاماً من الموضوعية، والموضوعية في هذا المجال هي أن يتعامل الإنسان مع الحقيقة على ما هي عليه بعيداً عن الذاتية والمؤثرات الخارجية.

والموضوعية في التعامل تكون أصعب من الموضوعية في البحث، لأنّ الباحث قد يمتلك ناصية العلم وقد يصل إلى ادراك الحقيقة بسهولة، ولكن التعامل مع الحقيقة بموضوعية أمر شاق ويحتاج إلى جد واجتهاد واخلاص وارادة تحصّن صاحبها من الانجراف مع تيارات الأهواء والميول والرغبات.

أسس بناء العقل الموضوعي

هنالك قيود تقيّد عقل الإنسان فتفرض عليه معطيات معيّنة حين البحث أو تسوقه إلى اسلوب محدّد في البحث وتوجهه إلى آراء ونتائج مسبقة قد لا يصل إليها الباحث لو ترك حراً في النظر.

ويجدر بمن يبتغي الحصول على العقل الموضوعي أن يعرف هذه القيود، ليسعه بعد ذلك عبر استنهاض همته واستعمال جميع أساليب التنوير الممكنة وأساليب التوعية المكثّفة أن يقوّم منهجه في النظر وأن

يطهّر عقله من جميع الشوائب العالقة به، لئلا تستبد به الآفات أو تحتله الأباطيل والنزعات، وأن يصون عقله في الوقت ذاته من الركود والعطالة والتبدد في غير مجاله والتخبّط في التيه بلا دليل أو التعلّق بالآراء المتعسّفة والأفكار التي تقف حجر عثرة في سبيل انطلاق الإنسان إلى آفاق المعرفة. وفيما يلي جملة من الأسس التي تعين الإنسان على تطهير عقله مما علق به من أمور شائبة، وتساعده على تخطّي الكثير من العقبات التي تعرقل مساعيه نحو بناء العقل الموضوعي:

١ ـ ادراك ابعاد الذات

إنّ من أهم مفردات الموضوعية أن يدرك الإنسان أبعاد ذاته، وأن يعرف قدره، ليتمكّن من التصرّف اللائق بشأنه وعدم الوقوع في سلسلة من الأخطاء نتيجة الفهم الخاطىء أو القاصر لذاته، والتي توقعه في أسر الأوهام المزيّفة التي تصوّر له ذاته على خلاف ما هي عليه، فيدفعه ذلك إلى الأنانية والطغيان والكبر والغرور والرذائل الاخرى التي تورث الإنسان حالة الحرمان من رؤية الحقيقة.

وسيأتي لاحقاً مبحث كامل حول الذات والانانية وسبل التحرّر من الانانية.

٢ ـ نبذ الاتباع الأعمى للآباء

إنّ الخضوع لصنمية تقديس تراث الآباء والأجداد وايثارهم على الهدى يؤدّي إلى تعطيل العقل ويدفع الإنسان إلى تقبّل ما تناقلوه كابراً عن كابر دون أدنى نظر أو تمحيص.

وهذا الانقياد لموروث الآباء يهيء العقول لقبول الخرافات والأساطير والعادات البالية، وبالتالي الابتعاد عن الموضوعية في البحث عن الحقيقة. فلهذا يعيب الباريء عزوجلّ في محكم كتابه على الذين يلغون عقولهم ويعطّلون تفكيرهم ويقلّدون غيرهم دون هدى ويقبلون ما انحدر إليهم من آبائهم من عقائد وأفكار وتقاليد دون أدنى نظر أو تمحيص لها. فيعتبرهم كالانعام بل هم أضل سبيلاً، وقد قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٠].

فلهذا ينبغي لكلّ من يودّ امتلاك العقلية الواعية والموضوعية أن يسعى لامتلاك الميزان الذي يتيح له قدرة تقييم تركة أسلافه واعطائها القدر اللائق بها، لئلا يقع فريسة تقديس ماليس فيه أية ميزه سوى ميزة القدم.

٣ ـ التحرر من تقديس الاشخاص

هناك صنف من الناس لم يمنح شخصيته استقلالها، ولم يعطها حريتها في البحث عن الحق، وهذا ما يؤدّي بهم إلى أن يقعوا في تضخيم التقدير لبعض الشخصيات غير المعصومة، وجعلهم فوق الشبهات وفوق الخطأ واحاطتهم بهالات قدسية تحول بينهم وبين نقدهم. وهذا الفهم الخاطىء يعمي البصيرة عن اتباع النهج الصحيح والتفكير بموضوعية حين البحث والتنقيب.

٤ ـ مراعاة الانصاف

إنّ طبيعة الإنسان الخضوع إلى المزاجية في تقييمه للأمور، فهو إنّ أحبّ شيئاً عميت عيناه عن رؤية مساويه، فلا يبصر إلّا بعين الرضا، وإن كره شيئاً عميت عيناه عن رؤية جوانبه الايجابية، فلا يرى منه إلّا المثالب والجوانب السلبية.

فلهذا يمثّل الانصاف معلماً بارزاً من معالم الموضوعية ولا يتمكّن الإنسان من مراعاة الانصاف إلّا بتنمية وعيه لئلا يتعلّق قلبه بغير الحق، وهو مبحث سيأتي التفصيل عنه لاحقاً.

٥ ـ ضبط مزاجية النفس

إن الإنسان اعتماداً على العنصر العاطفي والمزاجي الكامن في نفسه، يتأرجح دائماً بين الخطأ والصواب، والهداية والعماية، لأنّ العوامل التي تشكّل قناعات الفرد وتحدّد اتجاهاته نحو كل ما يحيط به تختلف اختلافاً كبيراً، فقد تكون عوامل وراثية وقد تكون مكتسبة من التنشئة الأسرية والاجتماعية التي يخضع لها الفرد.

فلهذا يتغيّر إطار الإنسان الفكري ومزاجه النفسي باستمرار، وهذا ما يترك أثره في إصداره للأحكام، فتكون أحكامه الصادرة تارة، ناتجة عن تعقّل وتكون تارة أُخرى ناتجة عن هوى أو ميل أو رغبة شخصية.

فلهذا يحتاج الإنسان إلى رقابة تحصّنه من الانزلاق والخروج عن الموضوعية في إصداره الأحكام أو إتخاذه للمواقف.

ويعتبر التثبّت من أهم الأمور التي تحرّر الإنسان من الدوران في فلك الخصوصيات النفسية والمزاجية، لأنّ التثبت يستوجب تريّث الباحث من أجل الإحاطة بالموضوع الذي يودّ البحث حوله والإلمام بجذوره وأسبابه وعواقبه وارتباطه بالمواضيع الأخرى.

وبهذا يمتلك الإنسان مساحات واسعة للحركة والموازنة والتقييم،

وكل هذه الأمور تتيح له إمكانية تحرّي الدقّة ورؤية الأمور من جوانب متعدّدة، وعدم الاستعجال في إصدار الحكم، ومن ثم التمكّن من النظر الموضوعي حين البحث.

وبهذا الوعي يستطيع الإنسان أن يمسك نفسه، وأن يسيطر على مزاجه، لئلا يقع ضحية انسياقه خلف تطرّف ردود أفعاله دون أن يدري.

٦ ـ تطهير النفس من التعصّب

التعصّب للشيء هو الميل الشديد إليه والجدّ في نصرته وعدم قبول الحق عند ظهور الدليل بناءً على ذلك الميل. والتعصّب للرأي يعني اعتقاد الإحاطة بالحقيقة النهائية فيما يقبل النظر والتأمل، وحصر الحق فيه والاندفاع بشدّة إلى مهاجمة كل من يخدش مضمون ذلك المعتقد.

وقد يكون التعصّب متوجّهاً لمذهب أو القبيلة أو الجماعة، ويترتّب على ذلك حصر الحق فيهم والاشادة بهم وإبراز محاسنهم وتبرير خطاياهم.

والتعصّب لشيء وحصر الحق فيه آفة خطيرة تؤدّي إلى عدم الرغبة في سماع أو رؤية الأشياء التي تقف موقف الضد أمام ما تمّ

التعصّب له، فيدفع هذا الأمر صاحبه إلى العجز عن مراعاة الموضوعية في سلوكه وتصرّفاته وتفكيره وجميع تحركاته.

ويعّد التعصّب ضرباً من ضروب الأنـانية، ولا يمكـن ازالتـه مـن النفس إلّا بعد تطهيرها من الانانية والتمركز حول الذات، وهو مبحث سيأتي التفصيل عنه لاحقاً.

الفصل الرابع

دور الحوار في تنمية الوعي

أهمية الحوار

إنّ الحوار يعدّ أفضل وسيلة للتلاقح الفكري وتوسيع آفاق الرؤية وتنمية الوعي وبناء المعارف وتطويرها من خلال تبادل الرأي وانفتاح كل من طرفي الحوار على خبرات الآخر.

وفي الحوار يفتح كل من المحاورين نافذة للطرف الآخر، ليريه من زاوية أخرى بعض الحقائق التي لم يرها من قبل، لأنّ كل انسان يشاهد الظاهرة الواحدة من زاوية معيّنة، فما يراه شخص قد لا يراه الآخر. وفي الحوار يساعد كل من المتحاورين الطرف الآخر ليرى الظاهرة من

زاوية اخرى.

وبهذا تكتمل صورة الحقيقة عند الطرفين، فيرتقي بذلك وعيهما نتيجة التعاون المشترك الذي اجروه لاكتساب الشمولية في الرؤية.

ومن أهم الأمور التي ينبغي أن ينتبه إليها المتحاورون هي أن لكل انسان شخصيته المتميزة ونظرته الخاصة للحياة، وكل منّا يفكّر بطريقة معيّنة قد تختلف عن طريقة الآخرين، وكل منّها يفسّر الأمور من منظوره الخاص وفقاً لأُسلوب تفكيره ومستواه الثقافي وعلى ضوء التربية التي لاقاها والبيئة التي عاشها والاجواء التي ترعرع فيها.

فلهذا ينبغي أن لا يتذمّر الإنسان وأن لا يشعر بالضيق النفسي عندما يجد شخصاً ما يختلف معه في الرأي أو الفكر، أو يرى الأمور بطريقة تختلف عن رؤيته لها، بل عليه أن يجد الاختلاف بينه وبين الآخرين أمراً طبيعياً وسنة من سنن الحياة.

وفي الحقيقة لا يعني تقبّل الإنسان للاختلاف واستسلامه للأمر الواقع وقبوله لوجود آراء أخرى عمّا يذهب إليه أن رأيه أو فكره غير صحيح أو أقل أهمية من غيره، بل يعني ذلك أنه شخصية واعية تعرف الطبيعة الإنسانية، وتعرف أن العوامل التي تؤثّر في تفسيرها للأمور تختلف تماماً عن تلك العوامل التي تؤّثر في الآخرين.

قواعد الحوار البنّاء

إنّ للحوار قواعد ينبغي مراعاتها، لأنّ في اهمالها سيكون الحوار معرضاً للانحراف والاصابة بالاخفاقات والأزمات، ومهدد بالفشل، فعندئذ لا يكون الحصاد من الحوار سوى تكوين العداوات وتأجيج نـــــار
الحقد والضغينة في قلوب الطرفين، وذلك من خلال اعتداء كل منهما على ذات الآخر وتدمير احساسه بالأهمية وتحطيم شعوره بالعزة والكرامة.

فلهذا لا يثمر الحوار النتائج المطلوبة ما لم يتم فيه من قبل طرفي الحوار مراعاة الأمور التالية:

١ ـ البحث قبل كل شيء لإنشاء وحدة فكريه وساحة مشتركة في طريقة النظر العقلي من أجل تحصيل لغة مشتركة بين طرفي الحوار.

وقد يتطلّب الأمر في هذا المجال، أن يتنازل الفرد مؤقتاً عن بعض ما يعتقد أنّه لا يقبل الجدل، وذلك من أجل عدم قطع خيوط التواصل مع الآخر، ودعوته إلى أرضية مشتركة ومحايدة تصلح لتبادل الرأي والنظر من غير أحكام مسبقة. وقد علّمنا القرآن أن هذا التنازل قد يكون في أكبر اليقينيات عند الفرد، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ

ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ: ٢٤].

٢ ـ التحلّي بالعقلية المنفتحة التي تدرك أن في هذا الوجود حقائق ثابتة لا تتحول وحقائق تتغير بتغير الظروف والأزمنة، وأنّ الاحاطة الكاملة بالحقيقة لم تتهيأ لأحد من الناس.

ويترتب على هذا الوعي امتلاك المرونة تجاه ما عرفنا، وبهذا يغرس الإنسان في نفسه إمكانية تغيير نظرته إلى الحياة، وتعديل ما قد التبس عنده من مفاهيم، وتصحيح الصورة الذهنية التي كان يمتلكها من الحقيقة، وذلك من خلال استعانته برؤية الاشياء من الزاوية التي ينظر إليها المقابل.

ومن هذا المنطلق، لا يكون ثمّة ما يدعو كل من طرفي الحوار إلى الخجل من الخطأ ما داما يحتفظان دائماً بعقول مفتوحة على الحقائق الجديدة، وما داما قد وطّنا أنفسهما أن يغيرا آراءهما عندما تشير الحقائق إلى خطئهما.

٣ ـ تطهير النفس من جميع الشوائب التي تخلّ بوضوح التفكير وتخرج الحوار من الموضوعية، من قبيل: الأنانية والتمركز حول الذات والغرور والتكبّر وغيره، لأنّ هذه الرذائل لا تسمح للإنسان أن ينظر إلى الأمور بشمولية ووضوح أو أن يزن الكلمات قبل أن ينطق بها.

٤ ـ التحكّم بالأعصاب وضبط الانفعال عن طريق معاملة المقابل على قدر عقله والتزام الصفح والتسامح قبال اخطائه، وتجاهل التصرّفات السلبية التي يقوم بها، لأنّ الغضب وفقدان السيطرة على الأعصاب يورثان فقدان الاتزان الانفعالي والقلق والتوتر، فيؤدّي ذلك إلىٰ عمى العقل وسلّ قدرته على التفكير بوضوح، وإفلات زمام السيطرة على الموقف تماماً وسلب مهارة التصرّف في الظروف الحرجة ومعرفة كيفيّة التخلّص من المأزق والردّ الحاسم على ما قد يوجه إليه من انتقادات غير بنّاءة، فتكون النتيجة زيادة الأمور سوءاً وتعقيداً.

فلهذا ينبغي للمتحاورين أن يجيدا اتخاذ الخطوات المؤثرة لتبديد غضب المقابل وأن يسيطرا علىٰ زمام الأمور عن طريق مقابلة غضب الآخرين برد فعل ودود وعطوف.

ومن أفضل الخطوات المهمة والفعّالة والمؤثرة التي بها يستطيع الإنسان أن يبدد غضبه هي أن يتمالك نفسه، وأن لا يفقد هدوءه أبداً، وأن يستجيب للمقابل بتعامل ودود وعطوف وأن يتكلّم معه بلين وهدوء.

وباتباع هذه الطريقة سيدرك الطرف الآخر خطأه، ويعود إلى صوابه بعد فترة، بل قد يعتذّر عن اسلوبه ويوطّن نفسه للإصغاء والاستماع الواعي إلى ما يذكره الطرف الآخر وتلقّي أفكاره دون أدنى

تشويش.

٥ ـ اجادة مهارة الاصغاء والانصات الجيد لكلام وحديث الطرف المقابل، وعدم مقاطعته مطلقاً حينما يعرض أفكاره، وتوفير الفرصة المناسبة لتبادل الأفكار وتقريب وجهات النظر، لأنّ تفكير الإنسان عند استماعه إلى شخص ما في الإجابة والردّ عليه يسلب من الإنسان قدرة النظرة الشمولية وفهم واستيعاب كلام الطرف المقابل، ومن ثم يؤدّي هذا الأمر إلى سوء التفاهم بينهما.

٦ ـ ينبغي أن يعي كل من طرفي الحوار بأنّ الحوار ليس ساحة لتأكيد الذات أو إظهار العظمة أمام الآخرين أو الغلبة عن طريق العراك الكلامي المشحون بالانفعال الذي يقود إلى الاحباط والتشنّج، بل الحوار ساحة يستعين بها الطرفان ليساعد كل منهما الآخر على الإدراك الذي يؤدّي إلى اكتشاف الحقيقة، وهو وسيلة ليتفهّم فيه كل منهما الرأي الآخر وأن يقارنه مع فهمه ليتوصّل إلى القرار الصائب والنظرة الثاقبة.

ولهذا لا يشترط في الحوار أن تكون الغاية توحيد الآراء في نهاية المطاف، بل المطلوب أن يشرح كل من الطرفين وجهة نظره للآخر، وأن يُري كل منهما الآخر ما لا يراه.

وأما الذي يظن أنّه يتمكّن من إرشاد الآخرين إلى الحقيقة عن

طريق إفحامهم والتغلّب عليهم في الجدل أو الانتصار في النقاش عن طريق النقد اللاذع أو الهجوم عليهم والإطاحة بهم والنيل من شخصيتهم فهو خاطىء، وهو لا يدري أنّه بتفنيد أقوال الذي يجادله وتحطيم وجهات نظره وتسفيه أقواله وجرح مشاعره وخدش اعتباره يدفعه إلى الضلال دفعاً ويغرس في نفسه حقداً وكراهية له ولفكرته وعقيدته.

٧ ـ عرض الأفكار والآراء والحجج والبراهين بمرونة واعتدال ودقة، لأنّ الحقائق حينما تعرض بهدوء تكون أشدّ أثراً في دفع الآخرين إلى الاقتناع بها والموافقة عليها.

كما يتيح هذا الأمر الفرصة للمقابل لينطلق من دافع ذاتي إلى تغيير نفسه وتعديل الصورة التي كان قد رسمها من قبل للقضية المطروحة على طاولة البحث، فيتمكّن من اعادة تفسيره لها، واكسابها المعنى الجديد الذي هو أكثر ملاءمة للواقع.

وإلّا فاذا تحدّث أحد اطراف الحوار مع الآخر بلهجة حادة وبنبرة متعالية، فانّه لن يجد أبداً آذاناً صاغية لكلامه ولن يجعل الطرف الآخر إلّا معارضاً له.

٨ ـ مراعاة الخلق الرفيع واحترام الطرف المقابل وعدم المساس بذاته عن طريق الانتقاص منه أو الاستهزاء أو السخرية أو

الاستخفاف به ومحاولة كسب وُدّه عن طريق الاهتمام به واتباع الأسلوب القائم على الرفق واللين في معالجة الأمور واستخدام الكلمات الطيبة التي تترك التأثير الطيب والانطباع الحسن فيه، والتي تشعره بأنّ من يسمعه مهتم فعلاً به وبقيمته الشخصية، لأنّ هذا الأمر يجعل المقابل أكثر تقبّلاً للآخر ولأفكاره وآرائه، وتثبت له أن الجلسة جلسة حوار وليست معركة على الاطلاق.

٩ ـ التسلّح بقوة المنطق وسرد البراهين واجتناب جميع أساليب المراوغة والمماطلة والتسويف والتبرير والمغالطة اللفظية التي تتخذ من اللف والدوران طريقاً للتغلب على وجهة نظر الآخرين. لأنّ الحوار المثمر هو الحوار الذي يعتمد على الموضوعية والمنهج والدليل وعرض الأفكار بصورة منظمة ومنسقة من أجل جعلها سبيلاً للاقناع والتوعية.

من شروط الحوار

إنّ الحوار إنّما يكون موضوعياً وبناءاً وذا فائدة، إذا دار بين قوم تهيكلت ثقافتهم عن وعي ودراسة وبحث واجتهاد، وإلّا فإنّ الذين جمّدوا تفكيرهم وتعوّدوا الاتكال على غيرهم ليفكّروا عنهم، واعتمدوا في صياغة مبادئهم على التقليد والتلقي دون النظر، فهم غير قادرين

على الدخول في حوار جاد، وإذا دخلوه فانّهم لا يستطيعون الاستمرار فيه.

لأنّ الحوار متّصل بالاجتهاد والقدرة على توليد الأفكار، ويجدر بالإنسان أن يكون متسلّحاً بقوة الأدلّة وترتيب الأفكار، بحيث يتسنّى له أن يبرهن على صحّة أفكاره، وأن يكون قادراً على الردّ الحاسم والمقنع على ما قد يوجه إليه من انتقادات، وأنّ اصحاب الكسل الذهني والتقليد المطلق غير قادرين على شيء من ذلك.

فلهذا يكون دأب اصحاب العقول التقليدية والمنغلقة هو الخشية من الحوار، لأنّهم قد اخذوا أفكارهم بالوراثة والتقليد، فلهذا لا يمتلكون الأدلّة والبراهين التي تدعم أفكارهم.

كما يخشى اصحاب العقول المتحجّرة أيضاً من الحوار، لأنّهم لا يحبّون التغيير، فهم يخشون أن يذهب الحوار بأفكارهم التي هم عليها، فيبقون بعدها في فراغ.

فلهذا ينبغي لكلّ انسان واع أن يتجنّب الحوار مع هؤلاء، لأنّ الحوار معهم يتحوّل إلى سجال وعراك ومشاجرات كلامية.

تحوّل الحوار إلى سجال

إنّ الحوار إذا لم يتم فيه مراعاة الأمور التي مرّ ذكرها، فإنّ الهدف منه

عندئذ لا يكون الوصول إلى تكوين رؤية شمولية لما يتم النقاش عليه، بل يصبح النقاش قائماً على خوض الحرب بكل ما تعنيه كلمة الحرب.

فيؤدي هذا الأمر بالطرفين إلى الخوض في معركة كلامية، فيفسح كل منهما المجال لنفسه أن يستخدم جميع الوسائل الممكنة لاخراس صوت الخصم والقضاء عليه، من أجل أن يحقق لنفسه أكبر امكان للتغلّب عليه، لأنّ الحرب تفترض اللجوء إلى كل ما من شأنه حماية النفس، واثبات القوة وتحقيق التفوّق على الخصم.

ومن هذا المنطلق يضرب التفاهم من خلال تبادل الآراء وموازنة الحجج عرض الجدار، ويحاول كلا الطرفين أن يستغلا كل الظروف والامكانيات المتاحة لتحقيق مكاسب اضافية، وبما أن أسهل الطرق لردّ التهمة عن النفس هي تحميلها للطرف الآخر، فلهذا يتحوّل النقاش إلى تبادل الاتهامات.

وتستلزم استمرار المعركة أن يؤجّج كل من الطرفين نيران العداء، فلهذا يتمّ التأكيد على عناصر التمايز والتباين والخلاف، فيؤدّي هذا التركيز والاستغراق من أجل اكتساب الموقف إلى سلب قدرة الطرفين على التفكير لفهم الواقع فهماً موضوعياً أو الانصات إلى الطرف الآخر أو توظيف العقل لمعالجة الأمر، لأنّ المنهج السجالي يفرض على الإنسان العيش في نزاع ذاتي لا مخرج منه.

كما لا يسمح كل من الطرفين لنفسه في هذه المعركة أن يراجع ذاته أو يقيّم ما يطرحه المقابل على طاولة البحث، لأنّ في مثل هذه الأجواء لا يكون المهم عند كل طرف أن يناقش مفاهيم الآخـر أو أن يـنظر ميزان عقلانيتها أو قربها من الواقع، بل يكون همّه أن يثبت للـرأي العام لا عقلانية الخصم وتهافت حججه واظهار ضعفه وخواء تفكيره وضحالة مرتكزاته الفكرية، لأنّ الحرب لا تهتم بالحجج العقلية ولكن كلّ همّها هو تعبئة النفس للتعريض الدائم بالخصم وتجريحه والاطاحة بكيانه.

اساليب المنهج السجالي

لا يهتم كل من يخوض المنهج السجالي سوى ما يخدم به مصلحته في الانتصار على الخصم، فلهذا يستخدم هـؤلاء الاشـخاص بـعض الأساليب غير الموضوعية، والتي منها:

- القفز من موضوع إلى موضوع آخر دون مقدّمات.
- استخدام المفاهيم من دون تحديد المعنى المقصود منها.
- الخلط بين المفاهيم لمجرّد وجود ارتباط شكلي أو جزئي بينها.
- الدوران في حلقة مفرغة من المشاكل دون حسم أية منها.

- نقد منهج معيّن من منطلق منهج آخر.
- الاستفادة من مناهج فاقدة للصلاحية في الحقل المعرفي.
- فصل الفكر عن الواقع والاستغراق في عالم المثال والتجريد.
- الاستشهاد بالاقتباسات الناقصة أو المشوّهة عن الواقع.

وغيرها من الأمور التي تذهب بصاحبها مذهباً يحيد عن النزاهة والموضوعية.

الباب الثالث

النفس وتنمية الوعي

إنّ البحث عن النفس واستكشاف عالمها المجهول سبيل مليء بالأسرار ومحاط بهالة من الغموض والابهام مالم يتسلّح فيه الباحث بنور البصيرة. فلهذا اختلفت الآراء في تفسير معنى النفس وتحليل ما تنطوي عليه من خفايا.

وقد تناول كل من الباحثين هذا الموضوع من زاوية خاصة، فكانت النتيجة أن تنافرت الآراء وتباعدت الأقوال في محاولاتها لمعرفة هذا العالم المجهول.

ولكننا في هذا المقام لا نبتغي من معرفة النفس سوى ما ينفعنا في تنمية الوعي. ولهذا اقتصرنا البحث فقط فيما يخدم الغرض الذي من أجله وضع هذا الكتاب.

ومختصر القول الذي يمكن ذكره حول النفس أنّها كيان قد الهمه الباريء عزّوجلّ ما يضرّه وينفعه، وهو بحاجة إلى تهذيب وتزكية واصلاح.

وقد جعل الباريء عزّوجلّ عملية تربية الإنسان لنفسه من أكرم

المهمات وأنبل الوظائف للبشرية.

وقد قال تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [الشمس: ٧ ـ ١٠].

الفصل الأول

الصحة النفسية

إنّ الصحة النفسية هي عبارة عن تمتع النفس بحالة التوازن والاعتدال، ولا تتحقق هذه الحالة إلّا من خلال اشباع حاجات الجسم باعتدال دون افراط وتفريط، وتحقيق الاتزان بين قوى النفس الداخلية وأمور أخرى يأتي ذكرها.

وتكمن أهمية الصحة النفسية في أنّها تمنح صاحبها حالة الشعور بالرضا والسرور والارتياح، وهي الحالة التي بها يصبح الإنسان قادراً على ادراك الواقع بشمولية ومواجهته بموضوعية، ومعالجة الأمور بكفاءة والعمل بكامل الوسع والاستطاعة قدر الامكان، والاستفادة من كل الطاقات والامكانات المتاحه له.

لأنّ الصحة النفسية تمنح صاحبها الأجواء التي يتمكّن من خلالها أن يفهم نفسه وأن يزن قدراته، وأن يخطو وفق المقاييس الصحيحة التي تجعله قادراً على مواجهة الأزمات وتخطّي العقبات التي تعتري طريقه.

معالجة الأمراض النفسية

تعتري النفس الإنسانية أمراض كثيرة كما تعتري الجسد المادّي تماماً، فيؤدي ذلك إلى فقدان توازنها وصرفها عن أداء مهمتها الصحيحة، فيتطلّب هذا الأمر من الإنسان أن يقوم بمعالجة النفس واعادة الصحة اليها.

ومن أهم الأمور التي ينبغي الالتفات إليها حين المبادرة إلى معالجة الأمراض النفسية:

أولاً: البحث عن أسباب الأمراض، لأنّ ذلك يساعد على اختيار العلاج الملائم واتباع الطرق المناسبة في استئصال المرض وقلعه من جذوره.

ثانياً: مراعاة سبيل التدرّج في المعالجة، وتكليف النفس اعمالاً تتناسب مع قدرتها، لأنّ تحميل النفس بأكثر من طاقتها يؤدّي لا محالة إلى حصاد الفشل، بل يؤدّي ذلك إلى نتائج غير مطلوبة.

تنشيط المناعة النفسية

إنّ النفس الإنسانية معرضة دوماً للمرض، وهذا ما يستدعي من الإنسان أن يجاهد من أجل الحصول على ما يقيه ويصونه من فقدان الصحّة، وذلك عبر رفع مستوى مناعته النفسية، أي: تنمية قدرته على مواجهة الأزمات ومقابلة الكروب وتحمّل المصاعب والمشقات ومقاومة ما ينتج من أفكار ومشاعر سلبية من قبيل مشاعر اليأس والعجز والانهزامية والتشاؤم.

ومن أهم سبل تنشيط هذه المناعة النفسية هي تعديل طريقة التفكير وتحسين السلوكيات الارادية وتعويد النفس على القيام بالأعمال الحسنة واجتناب الممارسات المنحرفة.

ويكون ذلك عن طريق:

أولاً: الاتصال بالجهة التي تعطي الإنسان قوة وأمناً وطمأنينة، وهي الايمان بالله عزّوجلّ واتباع أوامره والخضوع لشريعته.

ثانياً: الوقوف على مصادر الشر التي تسحب الإنسان دائماً للمعيشة في مشاعر الشقاء واليأس. ومن أهم هذه المصادر هي الشيطان الذي أوقف نفسه وكرّس جهده للعداء مع الإنسان والاطاحة بالكرامة التي

كرّمها الله سبحانه وتعالى لبني آدم.

وليس لهذا اللعين سلطان على بني آدم سوى وسوسة الذين يعرضون عن ذكر الله سبحانه وتعالى.

وقد قال عزّوجل: ﴿ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ ﴾ [النحل: ٩٩ ـ ١٠٠] .

فلهذا يتحتّم على الذين يودّون طرد مشاعر السخط والضجر والسأم والملل والعجز والانهزامية واليأس والشقاء أن يقوموا بتضييق مجال نشاط الشيطان عن طريق عدم التجاوب مع وساوسه وتوفير الأجواء المناسبة المؤدّية إلى الخروج من دائرة الظلمات إلى دائرة النور عبر الاكثار من ذكر الله عزّوجلّ والتوسّل بالعمل الصالح والمجاهدات العبادية.

الفصل الثاني

تهذيب النفس

إنّ النفس الإنسانية كيان طائش لا يصلح لصاحبه ما لم يقم بتهذيبه وتزكيته عن طريق ضبطه والتحكّم به والسيطرة عليه.

وتعني السيطرة على النفس الزامها باتباع خطه أو منهجية معيّنة أو اجبارها على اتباع منهج مغاير لما رغبت به.

وتتطلّب عملية تهذيب النفس المام الإنسان بنفسه، لأنّ الإنسان بمقدار المامه بنفسه ومعرفة دوافعها وشؤونها والاحاطة بما يهيّج شوقها ويشدّ عزمها يكون قادراً على حسن تدبيرها وكمال تربيتها وإزالة الموانع عن طريقها.

ويعتبر السعي لاصلاح النفس دون الامام بها محاولة فاشلة، لأنّ

الشخص الذي لا يفهم نفسه لا يتمكّن من الحصول على ايضاحات للتصرفات التي يقوم بها، ومن ثم يكون عاجزاً عن معرفة الدوافع التي تحفّز النفس للقيام ببعض التصرّفات، وبالنتيجة يكون عاجزاً عن ضبطها والسيطرة عليها.

طبيعة النفس البشرية

تكمن في سريرة الإنسان مجموعة طاقات حيوية تثير في النفس مشاعر وجدانية تتحوّل إلى دوافع تتطلّب الاشباع.

وتنقسم هذه الطاقات الانسانية الحيّة إلى قسمين:

الأول: الحاجات العضوية التي يقوم عليها بناء الجسم واغتذائه ونموه، من قبيل: الحاجة إلى التنفس والطعام والماء والنوم والراحة و..

الثانية: الغرائز التي تعتبر طاقات حيوية كامنة في النفس الإنسانية، والتي سيأتي ذكر مصاديقها.

وتمتلك كل من هذه الطاقات الحيوية حداً تعيش في نطاقه حالة الاعتدال والتوازن، فإن حدث في أية واحدة من هذه الطاقات نقص، فإنّها لا تلبث أن تتحوّل إلى دافع يطالب صاحبه لسدّ النقص واشباع الحاجة، ليعود الأمر إلى سابق عهده من الاتزان.

فإن تمّ الاشباع اللازم عادت النفس إلى توازنها، وهو الأمر الذي يأخذ بيد الإنسان إلى نوع من الشعور باللّذة والارتياح أو الاستمتاع، وإن لم تتم عملية الاستجابة الكافية لتلك المطالب يتحوّل الدافع ـ بمقدار عدم الاستجابة ـ إلى مثير للقلق والتوتر ومحفّز للشعور بالألم والضيق والانزعاج، ثم لا يلبث أن يمتد إلى جميع انحاء النفس، لأنّ الإنسان ليس مجموعة من الاجزاء التي تقبل ايقاع الانفصال بينها، بل هي وحدة متماسكة تؤثر بعضها على بعض.

ويمتلك الإنسان في قرارة نفسه مجموعة غرائز منها:

١ ـ غريزة الخلود والبقاء: وهي الغريزة التي تدفع صاحبها للتوسع وطلب المزيد من الأمور التي من شأنها أن تبقي الإنسان في هذا الوجود، من قبيل الحاجة إلى التملك والتقدير الاجتماعي والأمن وحب الاستطلاع.

٢ ـ غريزة التدين: وهي الشعور بحاجة الاستناد إلى قوة قوية من أجل الاحتماء بظلها واستمداد الشعور بالقوة منها، ومن مظاهر هذه الغريزة هو الميل إلى التقديس ومجموعة من الطقوس المعبّرة عن التذلّل والعبادة والدعاء والتضرّع والخشوع أمام المعبود.

وتبرز هذه الغريزة أيضاً في التمايل للانتماء إلى الجماعة أو الدولة التي تساعد على مواجهة الاحباط وتوفير الحماية والأمن له.

طبيعة الغرائز

إن الغرائز والشهوات لم تخلق في الإنسان عبثاً، بل هي السبب في حفظ الجسد والروح، لأنّها تدفع صاحبها إلى سدّ النقص الموجود في كيانه، ولكن المشكلة في الغرائز والشهوات أنّها قوى عمياء وصماء لا يهمها سوى الاشباع فحسب، والإنسان مختار في تسييرها وتوجيهها، فله أن يحقّق اشباعها من السبل المشروعة وله أن يحقّق ذلك عن الطرق غير المشروعة.

والمشكلة الأخرى في الغرائز والشهوات هي أن في اشباعها ـ عموماً ـ يكمن شعور باللذة والمتعة والارتياح، وهذا ما يدفع الإنسان غير الواعي إلى الافراط فيها واتباع الطرق المنحرفة للحصول على أكبر قدر ممكن من الشعور باللذة.

فلهذا يتطلّب الأمر من الإنسان أن يوظّف عقله من أجل اتّباع الطريق السوي واحلال السبل الراقية محل السبل الدانية في اشباع هذه الغرائز والشهوات، لئلا ينحرف إلى اتباع الطرق غير المشروعة في إشباعها.

ومن مظاهر انحراف الغرائز حين تركها من غير ضبط وتنظيم وتهذيب أن غريزة الخلود والبقاء تدفع صاحبها إلى التمحور حول ذاته

والتلبس بالانانية والغرور والكبرياء.

كما قد تتحوّل غريزة التدين من دون تهذيب إلى عبادة غير الخالق أو عبادته في غير الحدود التي ارادها الله سبحانه وتعالى، والالتجاء إلى مناهج عبادية ما انزل الله بها من سلطان، أو الوقوع في شباك بعض المشعوذين من الجهال الذين يتسترون بالدين زيفاً وبهتاناً واتباعهم من دون تفكير أو تعقّل.

فلهذا ينبغي لكلّ شخصية واعية تودّ صيانة نفسها من الوقوع في اختلاط الأمر في تشخيص الدوافع الحقيقية من الدوافع الوهمية للغرائز والشهوات أن تعتمد على المنهج الذي يحررها من التيارات الشريرة التي تريد أن تدفعها إلى استعمال غرائزها في غير الهدف الذي خلقت من أجله.

دور تهذيب النفس في تنمية الوعي

إنّ لتهذيب النفس دوراً كبيراً في ارتقاء مستوى وعي الإنسان، لأنّ هذه العملية توجب إزالة حجب الأهواء وأدران الشهوات عن بصيرة الإنسان، فيؤدّي هذا الأمر إلى تحرّر العقل والوجدان والضمير من الزيغ والفساد والأوهام ومصادر التضليل.

وبهذا تكون النفس قادرة على رؤية الحقيقة من دون تأثّرها بما

يشلّ فاعليتها ويشوّه لها صورة الحقائق.

في حين أنّ النفس غير المهذّبة تعيش حالة الحرمان من الادراك الواعي والشمولي للحقائق، لأنّها نفس مليئة بالخبائث وملوّثة بأنواع الرذائل، فلهذا لا يبلغ مستوى وعيها في فهم الحقائق إلّا بمقدار ما يشبع أهواءها الطائشة ورغباتها المشبوهة، لأنّ الإنسان غير المهذّب ميّال إلى النظر في الأمور من خلال عواطفه ورغباته الشخصية، وبهذا تبقى نظرته إلى الحقائق مقتصرة على رؤية الواقع من زوايا محدودة.

كما أنّ النفس غير المهذّبة تكون دائماً متوتّرة ومضطربة نتيجة التناحر الدائم الذي يقع فيها بين الأهواء والرغبات والميول المختلفة فيما بينها، ونتيجة الصراع والتجاذب المستمر الذي يحدث فيها بين الحق والباطل وبين الهدى والضلال.

فيؤدّي هذا الأمر إلى تبديد طاقات الإنسان حين انشغاله بهذا التناحر والصراع، في الوقت الذي يسع الفرد أن يستغل هذه الطاقات في أمور نافعة تؤدّي به إلى التفوّق والابداع والارتقاء.

كما أنّ هذا التناحر والصراع يسلب من الإنسان الاتزان والمرونة في التفكير والتعقّل، ويسلب منه الحلم والأناة والسكون في السلوك والتصرّفات، وبهذا يبقى الإنسان في حالة التوتّر والاضطراب والقلق حتى يتمكّن من حسم هذا الصراع بضبط النفس وتهذيبها وصقلها بالمبادىء القويمة.

وبهذه النفس المهذّبة التي تفيض بالخير والسعادة يعيش الإنسان حالة الثبات والاستقرار والطمأنينية والسكينة والانشراح والراحة، وهي العوامل التي تجعله متمتعاً بالتوازن والمرونة والتعقّل الذي يهديه إلى الخطى الرشيدة واستئصال الرذائل الموبقة وتنمية الفضائل الحميدة في نفسه.

وبهذه النفس لا يتمكّن الإنسان من ارتقاء مستوى وعيه، لأنّ النفس المهذّبة تعبّد له طريق المعرفة وتجعل عقله نقياً من كل شائبة.

الفصل الثالث

الثقة بالنفس

إنّ الثقة بالنفس تعتبر من أهمّ الخطوات الهامة في طريق تنمية الوعي، وهي تأتي في مقدمة عوامل النجاح بالنسبة للفرد في جميع أصعدة حياته، لأنّها تتيح للإنسان امكانية الغلبة على جميع العقبات التي تقف دون ارتقاء مستوى وعيه، وبها يتمكّن الإنسان أن يتحرّر من الأفكار والمشاعر السلبية التي تمنعه من توسيع آفاق مداركه الذهنية.

فلهذا يتحتّم على كل من يبتغي تنمية قدرته الفكرية وارتقاء مستوى وعيه أن يسعى لنيل هذه الصفة، ليكون بذلك قد اجتاز احدى المراحل المهمة التي تقرّبه إلى تنمية وعيه.

الفرق بين الثقة بالنفس والتعجرف

إنّ الثقة بالنفس تعني أن ينظر الإنسان بايجابية إلى ذاته، وأن يتمتع

بتقدير واحترام عال لها، وأن يفكّر ويتصرّف من منطلق أنه شخص له قدر وقيمة وكفاءة وأهلية.

والأسباب التي تدفع الإنسان إلى احترام ذاته وتكوين رؤية حسنه عن نفسه، قد تكون واقعية ومعتمدة على الموازين الحقيقة فتسمّى حينئذ الحالة المكتسبة منها: الثقة بالنفس، وقد تكون هذه الأسباب خاطئة أو وهمية فتدعى حينئذ بالتعجرف أو التغطّرس أو التعالي.

ومن سمات الإنسان الواثق من نفسه أنّه صاحب نفسية قوية ونبيلة تتقبّل ذاتها بقدر حجمها، ولا تبالغ في خلع التقدير عليها أكثر مما هي عليه، كما أنّها لا تذل نفسها بارتكاب التصرّفات التي تخدش بعزتها.

ولكن الإنسان المتغطرس هو صاحب نفسية ضعيفة ودنيئة، ولا يتصرّف إلّا سعياً وراء ما يملؤه زهواً، وهذا ما يدفعه إلى إذلال نفسه في بعض الأحيان أمام من ينتظر منه مكسباً أو يأمل منه شيئاً.

أهم دواعي اكتساب الثقة بالنفس

إنّ الإنسان معرّض حين القيام بأعماله إلى النجاح والاخفاق والانتصار والخيبة، ويعتبر النجاح والشعور بروعة الانتصار من أهمّ الأسباب المؤدّية إلى غرس حالة الثقة في النفس.

فلهذا ينبغي لكلّ مَن يرغب بناء الثقة في نفسه أن يوفّر لنفسه حين القيام بأيّ عمل جميع المتطلّبات التي تؤهّله للنجاح في أداء وظائفه بأفضل صورة ممكنة والقيام بواجبه بالشكل المطلوب، ليكون الفرد عبر السلسلة المتلاحقة من النجاحات في كيفيّة أداء ما عليه، متمكّناً من اكتساب المزيد من الثقة التي تجعله قادراً على التطلّع للأمام نحو نجاح آخر، وبالتالي نحو الارتقاء بوعيه وتطوير شخصيته الإنسانيّة.

ومن أهم الأمور التي تدفع الإنسان للنجاح في أموره هي درايته بميزان قدرته وإمكاناته الحقيقيّة ومراعاتها حين تحديد أهدافه وطموحه. لأنّ ذلك يرشده ليسعى بمحض إرادته وراء أهداف تنسجم مع نطاق قدراته وطاقاته وحجم إمكاناته، فترتفع بذلك نسبة النجاح حين المبادرة إلى الإنجاز، فتكون النتيجة نيل المزيد من الثقة بالنفس نتيجة النجاح المتكرّر.

ومن هنا ينبغي لكن من يفشل أو يواجه الخيبة في كيفيّة أداء ما عليه أن يقوم بتحليل أخطائه بهدوء، ليقف على أسبابها ويتعرّف على مصدرها وليعمل بعد ذلك على تلافيها ويتجنّب حدوثها في المستقبل.

والضمان المستمرّ للثقة الحقيقيّة يكون فقط في جانب الله سبحانه وتعالى، لأنّه هو الذي يمنح القلب من الأمن والقوّة ما يجعل الإنسان متمتّعاً بالسكينة والاستقرار، بحيث لا يكون أي مجال للفزع أو القلق

أن يجدا لانفسهما مكاناً في القلب.

لأنّ الإنسان الواثق بالله عزّ وجل والمتوكّل عليه لا تهزّه العواصف ولا تزعزعه المشاكل والابتلاءات، لأنّه يستمدّ قدرته وقوّته من الله تعالى، ويمتلك من المعاني النبيلة والقيم الرشيدة ما يستعين بها في صدّ كافّة الأمور المخلّة بثقته وقوّة شخصيته.

أهم دواعي فقدان الثّقة بالنفس

يُعتبر الشعور بالنقص من أهمّ الأسباب المؤدّية إلى فقدان الثقة بالنفس والتقدير السلبي للذات.

وينشأ هذا الشعور لدى الإنسان من خلال الفشل المتتالي في كيفيّة أداء ما عليه، أونتيجة عيب يعاني منه أو الشعور بالحرمان من شيء يفتقر إليه أو من مقايسة نفسه مع مَن هو أعلى مرتبة منه في أمور الدنيا، أو غير ذلك من الأفكار السلبية التي تملي على الإنسان حالة الإحساس بالقصور والانحطاط والدناءة.

ويُعتبر هذا الشعور -في بعض الأحيان- أمراً طبيعيّاً، لأنّه يكوّن لدى الإنسان ألماً يحفّزه للمبادرة العملية من أجل البحث عن مخرج يسدّ به هذا النقص. وقد يكون السبب من هذا الشعور غير ذلك، فلهذا

ينبغي أن يقوم الفرد بدراسة متأنّية حول النقص الذي يعاني منه، ليتعرّف على دوافع الشعور بهذا الإحساس.

ومن الحقائق التي لا بدّ أن يتقبّلها الإنسان في هذا المجال هي أنّ بعض عيوبه أو نقائصه غير قابلة للإصلاح والتحسّن، أو أنّ بعضها لا يسكن ألمها ولا يتمّ التعويض عنها إلّا بإتّباع الطرق المحرّمة وغير المشروعة.

وينبغي للإنسان أن يتقبّل هذا النمط من العيوب والنقائص الموجودة فيه دون امتعاض، وعليه أن يرفع مستوى وعيه ليتمكّن من عدم التفاعل وعدم الاستجابة الوجدانيّة لهذا النقص، ومن ثم توقيف تأثير هذا الشعور على سلوكه وشخصيّته.

وينمو وعي الإنسان في هذه الحالة عبر إدراكه بأنّ البلاء الذي قد ابتلي به، ليس إلّا امتحان إلهي شاءته الإرادة الإلهيّة لتختبر به مدى رضاه بقضائها وقدرها. فيدفعه ذلك إلى تعميق الصلة بالله عزّ وجل والوقوف بوجه هذه المشاعر السلبيّة من أجل نيل الثواب الذي أوعده الله للصابرين.

والجدير بالذكر أنّ الاعتقاد بوجود عيوب غير قابلة للإصلاح، لا يعني أن يلتجىء الإنسان نتيجة كسله إلى تجنّب التغلّب على المشكلات باختلاق الأعذار الواهية، والتذرّع بأنّ ما يعاني منه هو من جملة

المشكلات التي لا علاج لها. بل ينبغي لكلّ فرد أن يزن الأمور بميزانها الحقيقي، وأن يفرغ سعيه في البحث عن طرق نقائصه وعيوبه.

كما أنّ معاناة الإنسان من نقص غير قابل للعلاج لا يعني أنّ هذا الفرد عديم الموهبة في جميع المجالات، بل ينبغي لكلّ فرد أن يفتّش في داخله من أجل اكتشاف مواهبه الكامنة وإبرازها من أجل إيجاد ما يوازن النقص الذي يعاني منه.

ويعتبر الوعي العبادي، والبحث عن التقدير الإلهي لا التقدير الاجتماعي من أهمّ العوامل المتكفّلة بإزاحة الإحساس بالنقص ومنعه عن ترك أي أثر سلبي على تفكير وسلوك الإنسان.

لأنّ الشخصية التي تحيا المبادىء الربانية ترى أنّ الباري عزّ وجل لم يجعل فارقاً بين الناس إلّا من حيث التقوى.

ومن هذا المنطلق الديني يعيش الإنسان ذات الذكاء المنخفض أو المواهب والكفاءات الضعيفة حالة التوازن والاطمئنان، لأنّه يعتقد أنّ الله سبحانه وتعالى لن يحاسبه على هذا القصور.

وهذا على العكس تماماً في الشخصية التي لا صلة لها بالله تعالى، أو الشخصية التي قد ضعف فيها الاتصال ببارئها، فهي بما أنّها تبحث عن التقدير الاجتماعي ولا تمتلك إلّا الثواب والعقاب الاجتماعي، فهي تبقى

فاقدة للاتزان والطمأنينة نتيجة عدم حصولها على مبتغاها في وسط المجتمع المادي.

ثمار الثقة بالنفس

تترك حالة الثقة بالنفس لدى الإنسان آثاراً إيجابية تساعده على السير بسهولة في سبيل تنمية وعيه، ومن هذه الآثار:

١ـ التقدّم في جميع الأصعدة:

إنّ الإنسان الواثق بنفسه يواجه الحياة دائماً بقوّة وثبات، غير هائب ولا خائف ولا متردّد لأنّه يمتلك نفسيّة قادرة على مواجهة أي صدمة يتلقاها في طريق وصوله إلى هدفه الذي يقتنع به تماماً.

فلهذا يرتقي هكذا شخص في جميع الأصعدة، لأنّه يكون صاحب إرادة وعزم وحزم وتصميم حين مبادرته إلى شؤونه، كما أنّه يكون واثقاً من نجاح نفسه ولا يهمّه شيء سوى الوصول إلى هدفه، فلهذا يصمّم حين الفشل أن يقوم بالعمل مرّة أخرى دون أن يفقده الفشل شيئاً من ثقته بنفسه.

كما أنّ هكذا إنسان لا يلجأ إلى الهروب من المسؤوليّة حينما تُلق على عاتقه مهمّة يتمكّن من القيام بها، وهو لا يلتمس لنفسه الأعذار الواهية ولا يتلبّس بالأقنعة المزيفة من أجل الهروب من تحمّل التبعات والمسؤوليات، لأنّ محاولة اختلاق الأعذار ـ في حقيقتها ـ ليست سوى تعبيراً غير مباشر عن خوف الإنسان من تحمّل المسؤولية.

كما أنّ الإنسان الواثق بنفسه لا يحاول تأويل فشله بإلقاء اللوم على الآخرين في كلّ تقصير، بل يتلقّ المسؤوليات الملقاة على عاتقه بقوّة ويقوم بوظيفته بأفضل صورة ممكنة، ولا يسمح للأحاسيس المؤلمة أو الأمور العارضة التي تطرأ عليه، أو المواقف الصعبة أو الأوقات العصيبة أن تنال من معنويته أو شخصيته أو ثقته بنفسه، بل يواجهها بقوّة، ويحاول أن يتغلّب عليها أو يتكيّف معها من دون أن يناله منها شيء سلبي.

٢ ـ التمتّع بالنشاط والحيويّة:

إنّ الأمر المميّز للواثق من نفسه أنّه يتمتّع دائماً بالحيوية والنشاط، لأنّه بشكل عام إيجابي وقادر على انجاز أعماله بأفضل صورة ممكنة، فيدفعه هذا الأمر إلى مواصلة عمله بحماس، ويمنحه الشعور بأنّه قادر على أن يواجه أيّة عقبة تعترى طريقه حين التوجّه إلى تحقيق أهدافه

المنشودة.

وبهذا الشعور يقضي الإنسان الواثق من نفسه على جميع المشاعر السلبية من قبيل الإحباط والخيبة والاكتئاب والشعور بالضعة والتبعيّة وعدم الكفاءة وغيرها من الأحاسيس المؤلمة التي تقف حجرة عثرة أمام عملية الارتقاء والتكامل الإنساني.

٣ـ استقلال الشخصية:

إنّ طبيعة الوثوق بالنفس هو ثبات الشخصية وعدم اتكالها على الغير، وبهذا يتّسم الشخص الواثق بنفسه بالاستقلالية والسيادة على إرادته والشعور بالتصميم الحاسم والثابت في استعمال حرّيته في الاختيار، فيكون له تفكيره الخاص الذي يستعين به في تخطّي العقبات التي تعتري طريقه.

ومن هذا المنطلق يكون الفرد متحرّراً من التبعية لهذا وذاك، فلا يكون أمّعة يتبّع كلّ ناعق ويسير مع مَن يسير نتيجة شعوره بتفاهة أفكاره وعدم جدواها، ولا يكون ظلاً لغيره يتحرك بحركته ويسكن بسكونه، ولا يقع فريسة التبعية لأهواء الناس، بل يكون شخصية واعية تحترم نفسها وتثق بقدراتها وتمتلك القوّة في اتخاذ قراراتها بنفسها.

٤ ـ نيل الشخصية المؤثّرة:

إنّ أكبر سبب يجعل الإنسان شخصيّة مؤثّرة هو الثقة بالنفس، لأنّها تمنح صاحبها كل أسباب النجاح والتفوّق، وتعطيه القوّة اللازمة للتأثير على الآخرين من خلال وثوقه بنفسه واقتناعه بصحّة تصرّفاته.

مشاعر تفقد الثقة بالنفس

تعتري النفس الإنسانيّة مشاعر سلبية نتيجة بعض العوامل، فتؤدّي إلى اهتزاز ثقة صاحبها بنفسه وفقدانه حالة الاعتدال في تقديره لذاته، ومن جملة تلك المشاعر ما يلي:

١ ـ الانزعاج:

وهو شعور ينتاب الإنسان نتيجة إثارة انفعالات خاصّة في النفس، ويتبع هذا الشعور الإحساس بعدم الراحة والملل والضيق وغيرها من الأحاسيس التي تشلّ طاقة الإنسان وتجعله مقيّداً في دائرة من اللوعة والأسى.

ويكمن العلاج في أن يرفع الإنسان مستوى وعيه، ليرى أنّ هـذه

الأمور التي تزعجه، هل تستحق أن تسبّب له إزعاجاً أم أنّها أمور تافهة لا تستحق أن يكون لها شأن سلب راحته.

فإن كانت هذه المزعجات أموراً تافهة، فالأفضل أن لا يشغل الإنسان نفسه بها، وإن كانت أُموراً يعتدّ بها، فليعلم أن هذا الإزعاج بمثابة الألم الذي يعتري المريض ليدلّه على وجود نقص في جسمه يتطلّب العلاج، فإن تمكّن من علاجه فبها، والاّ فلا سبيل له سوى الصبر والرضا بقضاء الله تعالى وقدره.

ومن جملة أسباب انزعاج الإنسان من تصرّفات الآخرين هو جهله بهم، إذ يدفعه هذا الجهل أن يتوقّع منهم ما ليس فيهم، لكنّه حينما يواجه الواقع يرى الأمور عكس ما كان يتصوّر.

في حين أنّ معرفة الإنسان بمستوى وعي الآخرين تدفعه ليلتمس العذر لسوء تصرّفاتهم وتقبّلها بسهولة وعدم الاستياء منها نتيجة لحاظها بأنّها أمر طبيعي ناتج من مستوى وعيهم، ومن ثم رؤية هذه التصرّفات التافهة أمراً لا يستحق الاستياء منه.

٢ ـ الإحباط:

ينتج هذا الشعور عندما يواجه الإنسان في حياته الفشل والخيبة،

ويجد أنّه لم يحصد ثمار ما بذله من مجهود، وأن ما فعله لم يؤدّ إلى النتيجة المرجوة.

وينبغي للفرد في هذه الحالة أن يستخدم تفكيره للبحث عن طرق أخرى وسبل جديدة لنيل النتائج المرجوة.

٣ ـ خيبة الأمل:

يتولّد هذا الشعور نتيجة عدم مراعاة الإنسان لقدرته وإمكاناته حين تحديد أهدافه أو نتيجة الفشل الدائم في نيل الأهداف المنشودة، أو نتيجة تكرار الفشل لنيل المبتغيات المطلوبة، ويصاحب هذا الشعور إحساس بعدم استطاعة تحقيق الهدف المنشود أبداً.

والعلاج هو أن يسعى الإنسان لإيجاد الانسجام والتواءم بين طموحاته وتوقّعاته وبين قدراته وإمكانياته، وأن يبادر بعد ذلك إلى تقييم ما يريده في الواقع، وأن يبحث دائماً عن خطط أكثر فعالية لنيل وتحقيق ما يريد.

٤ ـ التشاؤم:

وهو الأخذ بالجانب السيّيء حين تفسير الأمور والظواهر والتصرّفات، وهو شعور ينشأ في النفس نتيجة تراكم الفشل في حياة الإنسان، وضعف النفس من تحمّل الإحباط الدائم.

وينتج من هذا الشعور توقّع المعاكسات والعراقيل في كلّ خطوة والشكوى على الدوام من الحظ والإقبال واعتبار النفس دائماً ضحية الظروف.

والتشاؤم مرض خطير لا يستطيع الإنسان المبتلى به أن يتحرّر منه إلّا باتباع خطوات مدروسة تحقّق له النجاح تلو النجاح، فيعود إلى سلامته من جديد.

الفصل الرابع

انفعالات النفس

إنّ الانفعالات هي حالات نفسية تسبّبها وتغذّيها بعض العوامل وبعض الأفكار من أجل حثّ النفس وعدّها لاتخاذ موقف معيّن.

وتكمن أهميّة الانفعالات في امتلاكها الدور الإيجابي والوظيفة الحيويّة التي تتمثّل في حفظ الذات والتهيّؤ للدفاع عن النفس.

أمهات الانفعالات

تتجلّى مصاديق الانفعالات في حالات عديدة، يمكننا عدّ الموارد التالية من أهمّ الانفعالات التي تعتري النفس البشريّة:

التعجّب:

هو المفاجأة والحصول المباغت وغير المتوقّع للنفس حين مواجهتها للأغراض التي تبدو لها نادرة.

الحب:

هو شعور النفس بالميل نحو الأغراض التي تبدو لها صالحة أو مناسبة، ويسمّى هذا الشعور نحو الأشياء الصالحة بالرغبة، ونحو الأشياء الجميلة بالبهجة.

الكره:

هو شعور النفس بالانفصال عن الأغراض التي تبدو لها غير صالحة أو غير مناسبة، ويسمى هذا الشعور نحو الأشياء السيئة بالنفور، ونحو الأشياء البشعة بالاشمئزاز.

الفرح:

هو الشعور بحالة السرور والبهجة وانشراح الصدر، وفيه قوام تمتّع

النفس بالخير الذي تصوّره لها انطباعات الذهن على أنّه خيرها.

الحزن:

هو الشعور بحالة الانزعاج والهم والغم والانكسار نتيجة الاعتقاد بامتلاك الشر أو السوء أو العيب أو النقص.

الاعتماد على الانفعالات في التقييم

لا يمكن بصورة عامة عدّ الانفعالات ميزاناً للتمييز بين الخير والشر، لأنّ هناك العديد من الأشياء الضارة بالجسد والروح تترك انطباعاً إيجابياً في النفس، وفي المقابل أيضاً توجد أشياء نافعة للجسد والروح تكون مزعجة في بداية الأمر.

فلهذا يجب على الإنسان أن لا يعتمد على انفعالاته في تقييم الأمور ما لم تكن انفعالاته منبثقة من معرفة حقيقيّة تضبطها لئلّا تحيد عن الصواب، لأنّ الاعتماد على الانفعالات قد يدفع الإنسان إلى إيقاعه في الأخطاء الفادحة وإذلاله والحطّ من شأنه نتيجة اهتمامه بما لا يستحق منه الاهتمام.

فلهذا ينبغي الالتفات إلى الأسباب التي تثير فينا الانفعال، لئلّا

نكون ضحيّة الانفعالات القائمة على الأسباب والدوافع الخاطئة.

أقسام الدوافع المثيرة للانفعال

هنالك دوافع كثيرة تثير حالة الانفعال في النفس، ويمكننا تقسيم هذه الدوافع إلى قسمين:

١ ـ قد تكون العوامل والأفكار المثيرة للانفعال إيجابية، فتكون النتيجة أن يندفع الإنسان إلى اتخاذ المواقف الصالحة والقيام بالأعمال واتباع الرشد في سلوكه.

٢ـ قد تكون العوامل والأفكار المثيرة للانفعال سلبية وناشئة من قناعات خاطئة، فيؤدّي ذلك إلى استخدام الانفعالات في خدمة الوصول إلى القرارات المنبثقة من الآراء الخاطئة التي لا تستند على المعرفة الحقيقية، أي: في خدمة أمور تافهة لا تستحق أي لون من ألوان العناية والاهتمام.

ويحفّز هذا النمط من الانفعال صاحبه على ارتكاب أعمال تأخذ بيده إلى أودية الضلال والانحراف.

سبل التغلّب على الانفعالات الموهمة

إنّ أفضل وسيلة لضبط حالة الانفعال الناتجة من الأسباب الخاطئة هي الاستعانة بالإرادة من أجل:

أولاً: عدم الاستسلام لنتائج الانفعال، وإيقاف العديد من الحركات التي هيأ الانفعال الجسم لها.

وهذا أقصى ما تقدر عليه الإرادة حين تقوم العوامل السلبية بإثارة الانفعال، لأنّ مسألة إيقاف وإخماد حالة الانفعال على وجه السرعة أمر غير ممكن بالنسبة إلى الانفعالات القويّة والعنيفة، لأنّ بعض الغدد الجسمية تفرز حين الانفعال مواد كيمياوية في الدم من أجل تهيئة الجسم وتعبئته لاتخاذ الموقف المناسب، وهذا ما يجعل حالة الانفعال باقية إلى أن تزول هذه المادة بالتدريج من الدم.

ثانياً: مواجهة الأسباب السلبية المثيرة للانفعال، لأنّ الانفعالات مشاعر قسرية مستقلة عن الإرادة، وهي أداة بيد الأسباب التي تحرّكها وتوظّفها للوصول إلى مآربها.

فلهذا ينبغي لكلّ شخص يودّ تحقيق حالة متوازنة في نفسه أن يقوم بإزالة هذه الأسباب السلبية، أو الابتعاد عنها فيما لو لم يتمكّن من

إزالتها، أو التحصّن بما يحميه من ضررها فيما لو لم يتمكّن من الابتعاد عنها، ليكون بذلك محصناً من الانفعال مرّة أخرى.

وبهذا يتمكّن أن يوفّر لنفسه الأجواء المناسبة التي تبعده عن الانفعالات التي تفقد توازنه النفسي.

ولا يتأتّى ذلك إلّا بفضل الإرادة القوية، ومن هنا يلزم على الإنسان المبادرة إلى تنظيم أفكاره وضبطها من أجل تقوية إرادته، وبالتالي نيل النجاح في أمر مقاومة انفعالاته والتغلّب عليها بسهولة والتمكّن من السيطرة على سلوكه وتصرّفاته حين هيمنة الانفعال على وجوده.

لأنّ الشخصيات التي تعاني من ضعف الإرادة تكون دوماً العوبة بيد الانفعالات، ويكون هذا النمط من الناس أصحاب نفوس هزيلة لا تتحرّك إلّا بما تمليه عليه انفعالاتهم.

ثالثاً: المبادرة إلى عملية الاسترخاء، وهي عبارة عن إطلاق أعضاء الجسم ومنحها الفرصة المطلوبة للاستراحة والعمل بمرونة.

وتتطلّب هذه العملية أن يقوم الإنسان بتهدئة فكره وتهدئة تنفّسه وشدّ انتباهه على أن تتم جميع تصرّفاته بصورة هادئة ومتأنية.

وبهذه العملية يزول من النفس الجزء الأكبر من التوتّر الناشيء من الانفعال، فيتمكّن الإنسان بعدها من إعادة توازنه المفقود والرجوع إلى

الحالة الطبيعية التي كان عليها قبل الانفعال، بل قد تمنح هذه التمارين[١] صاحبها الشعور بحالة الهناء والسكون والراحة نتيجة تحرّره من الضغوط الجسدية والنفسية التي كان يعاني منها فيما سبق.

الأثر المتبادل بين ضبط الانفعال وتنمية الوعي

إنّ لكلّ من تنمية الوعي وضبط الانفعال الأثر المتبادل في رفع مستوى الآخر، فمن جهة يترك ارتقاء مستوى وعي الإنسان أسمى التأثير في مساعدة الفرد على ضبط انفعاله، وفي المقابل أيضاً، فإنّ ضبط الانفعال يحرّر العقل من شوائب كثيرة تحجب الإنسان عن الارتقاء في مستوى وعيه.

وأمّا دور تنمية الوعي في ضبط الانفعال، فهو لأنّ تنمية الوعي تجعل صاحبها قادراً على ربط نشاط الغدد المثيرة للانفعال بأفكار سامية، تعينه على ضبط انفعالاته في الأصعدة التي لا تستحق الانفعال، وصبّ اهتمامه فيما يليق الاهتمام به. وهذا هو الأمر الذي يمنح الإنسان القدرة الكافية لضبط انفعالاته وقيادة نفسه، ومن ثم التغلّب والسيطرة

١- تعتبر عملية الاسترخاء جزء من تمارين اليوغا الرياضية، ويتمكّن القارىء أن يراجع الكتب المدوّنة حول هذا الموضوع من أجل كسب المزيد من المعرفة بهذه التمارين التي تلعب دوراً هامّاً في تحرير الجسد من التوتر.

على جميع أهوائه ونزعاته بأقلّ قدر من المهارة والمساعي وبذل الجهد.

ومن ناحية أخرى أيضاً، فإنّ الانفعالات لا يمكنها أن تحمل الإنسان على القيام بأي عمل إلّا عن طريق إثارة رغباته، والرغبة أمر له صلة وثيقة بمستوى وعي الإنسان.

فلهذا يكون الانفعال أقلّ قدرة في التأثير على الشخصيات الواعية، لأنّه يكون غير قادر على استفزازهم بإثارة شتّى الرغبات التي لا طائل تحتها. لأنّ الإنسان الواعي يحرّر نفسه من التعلّق بالرغبات التافهة أو الأقل منفعة وهو لا يشغل فكره بما يلهيه عن التوجّه إلى الرغبات السامية.

وأمّا بالنسبة إلى دور ضبط الانفعال في تنمية الوعي، فإنّ الإنسان الخاضع لانفعالاته يكون شخصية فاقدة لتوازنها الداخلي وانسجامها الكلّي، ويكون صاحب عقلية محرومة من إدراك واستيعاب الحقيقة وعاجزة عن تحقيق الصواب.

لأنّ الفكر في هكذا عقلية يقفز من فكرة إلى أخرى، ويكون مضطرباً بسبب لعبة الميل والنفور والرغبات المتناحرة، ولكن بفضل ضبط الانفعال يكون الإنسان أقدر على تحقيق الصواب ورؤية الحقيقة بوضوح، ومن ثم يكون أقدر على تنمية وعيه وارتقاء مستواه الفكري.

الفصل الخامس

الذات والأنانية

إنّ الإنسان بطبيعته ينطلق في جميع سلوكه وتصرّفاته وحين تحديد أهدافه وآماله من منطلق حبّ الذات ونيل ما يكفل للذات ضرباً من الإثراء أو التوسّع أو الامتداد.

ومن المستحيل للإنسان العاقل واللبيب أن يقوم بملء إرادته واختياره إلى التضحية أو الإحسان أو التجرّد من نفسه أو التنازل عن أولويته أو التخلّي عن قيمته أو مصلحته إلّا في قبال نيل ما هو أفضل ممّا يفقده.

لأنّ الإنسان بفطرته يميل إلى ما يساعده في تنمية مواهبه وتحقّق إمكانياته وتوكيد حريته والسعي نحو سعادته. ويكون لمستوى وعي

الإنسان في هذا المجال الدور الأساسي في تحديد ما هو مهم بالنسبة إليه وما هو لائق لإشباع ذاته وتحقيق سعادته.

ومن هنا يندفع الإنسان الذي لا يعي إلّا الحياة الدنيا إلى حبّ الدنيا فقط، لأنّه لا يرى تحقيق ذاته إلّا فيها، فلهذا يقتصر بحثه عن مصلحته فيها فحسب، لكن الإنسان الأكثر وعياً والأكثر شمولية في النظر إلى الحياة يطلب الآخرة ويطمع في ثواب الله تعالى وجنته، لوعيه بأنّ الخير الذي يناله في الدنيا لا يعد شيئاً بالنسبة إلى خير الآخرة، فلهذا يؤجّل إشباع رغبته في هذه الدنيا الفانية وفق إرادة الله سبحانه وتعالى من أجل نيل ما هو أرقى وأسمى في الآخرة.

وقد يبلغ الإنسان في وعيه، المستوى الذي يدفعه إلى مرتبة الزهد بالجنّة وعدم الاهتمام بها! والطمع في لقاء الله ونيل رضوانه فحسب، وليس هذا إلّا نتيجة سمو الوعي، وإدراك هذه الحقيقة بأنّ في لقاء الله ورضوانه سعادة أكبر من الجنّة.

إذن بصورة عامّة يمكننا القول بأنّ حبّ الذات وإرادة الخير لها هو من أهم الدوافع المحفّزة للإنسان من أجل البحث عن سعادته في شتّى الأصعدة، ومنها أيضاً التوجّه إلى الله سبحانه وتعالى.

وأمّا الوصول إلى مرتبة وأد حبّ الذات والتوجّه المطلق والخالص إلى حبّ الله عزّ وجل، فذلك لا يكون إلّا بوصول الإنسان إلى هذه

المرتبة من الوعي بأن يدرك أنّه لا يمتلك أيّة استقلالية لنفسه، فتفقد عندئذ محبّته لذاته استقلاليتها، وتتعلّق المحبة الأصلية بالخالق، فيكون الإنسان حينئذ يريد ذاته لله تعالى لا أن يريد الله لذاته.

الفرق بين حبّ الذات وحبّ الأنا

إنّ حبّ الذات في الإنسان يختلف تماماً عن حبّ الأنا، لأنّ حبّ الذات غريزة فطرية مغروسة في وجود جميع بني آدم، لكن الأنانية وحبّ الأنا حالة مرضيّة تعتري الأنسان نتيجة ابتلائه برؤية خاضعة للوهم تدفعه إلى توكيد مبدأ الفردانية والتمركز حول الأنانية والنظر إلى الحياة بمنظار المنفعة الخاصّة.

وإنّ حبّ الذات حالة طبيعيّة، وأنّ البشريّة كلّها تحبّ ذاتها، وهذا لا يعني أن جميع الناس لديهم أنانية، بل الأنانية تعني عدم الاهتمام بشيء سوى محبّة النفس ونيل منفعتها الخاصّة ولو على حساب الآخرين. بينما الإنسان السوي يحبّ ذاته، وفي نفس الوقت يحبّ ويحترم ذات الآخرين ولا يبخل في إرادة الخير لهم، لأنّه لا يرى في الآخر غيراً ونِدّاً مزاحماً له، بل يرى في الآخر غيراً ومكملاً له، ويرى أنّ في مساعدته للآخرين يحصل على أرقى المراتب والمنازل عند الله سبحانه وتعالى.

وأيضاً من فوارق حبّ الذات وحبّ الأنا، أنّ الذي يحبّ ذاته بعكس الأناني لا ينطلق في بحثه عن الخير والصفات المحمودة من منطلق حبّ التفوّق على الآخرين وإحراز الغلبة عليهم، لأنّه يدرك مذمومية طلب العلو في الأرض ويعي قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص: ٨٣].

وانّما ينطلق غير الأناني نحو الصفات الإيجابية من منطلق حبّ الكمال وحبّ نفس الصفات الإيجابية من دون النظر إلى الآخرين.

سبل التحرّر من الأنانيّة

إنّ الأنانية والانغمار في الذات هي صورة من صور تدنّي الوعي والبقاء في جهل الذات، ولا يمكن التخلّص منها إلّا عن طريق المبادرة إلى كشف القناع عن الذات وإدراك حجمه الحقيقي.

وتتطلّب عملية اكتشاف الذات أن يحرّر الإنسان نفسه من جميع المؤثرات السلبية التي من شأنها أن تخلّ في رؤيته إلى ذاته.

وتقوم الشريعة الربانية بمهمة تحديد هذه المؤثرات السلبية وتحدّد للإنسان السبيل لتهذيب نفسه وتطهير وجوده من الشوائب التي تحجب

بصيرته عن رؤية ذاته، وتساعده في معرفة السبل العملية لتحرير كيانه من القيود والموانع التي تعترض طريق اكتشافه لذاته.

وطريق معرفة الذات مليء بالفخاخ، ولا يستطيع الإنسان اجتيازه إلّا بعد الاستعانة بالله سبحانه وتعالى والالتزام بما أمره الباري عزّ وجل.

ويتمكّن الإنسان بفضل معرفته لذاته أن يعرف المسلكية التي تلائمه من أجل انشاء الوفاق مع ذاته ومعرفة ما يوفّر له سلامته وصحته النفسية. وبها أيضاً يتمكّن من صيانة نفسه من الوقوع فريسة تخيّلاته وأحلامه التي تدفعه للمعيشة على هامش الحقيقة.

وبفضل اجتياز العقبات التي تعتري سبيل وصول الإنسان إلى ذاته، تنكشف الذات أمام صاحبها، وهذا ما يدفعه إلى إصلاحها، لأنّ الإنسان قد يلبس قناعاً أمام الغير فيوهم على نفسه بأنّه على خير، ولكنّه في وحدته مع ذاته لا يستطيع أن يخدع نفسه، فيخلق هذا الأمر في نفسه ألماً يدفعه إلى البحث عن السبيل لمعالجة نفسه.

ومن هذا المنطلق يتمكّن الإنسان من إصلاح عيوبه وإزالة نواقصه وانشاء حالة الوفاق مع ذاته، وهي الأمور التي بها يصل الإنسان إلى الرؤية البعيدة عن الهوى والأنانية، فيصل عندئذ إلى الحدّ الأعلى من الوعي والإدراك للحقيقة.

الباب الرابع

تنمية الوعي الديني

الفصل الأوّل

القلب وعوامل انحطاط الوعي الديني

إنّ الخطوة الأولى التي ينبغي أن يخطوها الإنسان في سيره التكاملي بعد ارتقاء مستواه الفكري هي تنمية الوعي الديني، لأنّ العلم لا يكفي وحده لتسيير سلوك الإنسان نحو الصلاح، ولكن الوعي الديني قادر على منح الإنسان القوّة الدافعة لتوجيه سلوكه بحيوية ونشاط نحو الأهداف السامية.

ويرتبط مستوى الوعي الديني بصورة مباشرة بطهارة القلب ونزاهته من الأدران والأمور الشائبة. ولهذا يتحتّم على الطامع في رفع مستوى وعيه الديني أن يجاهد في سبيل تحقيق ما يعينه على تطهير قلبه من جميع الشوائب.

القلب

ليس المراد من القلب في هذا المقام القطعة اللحمية المودعة في الجانب الأيسر من الصدر، بل المراد منه باطن الإنسان وهو المكان

الذي جُعل موطناً ليتعرّف به العبد على الله عزّ وجل.

وقد شاءت الإرادة الإلهيّة أن تجعل الإنسان حرّاً في اختياره سبيل الهداية أو سبيل الضلال، فلهذا جعل الله عزّ وجل هذا القلب ساحة صراع بين الخير والشر.

وقد أرشد الباري عزّ وجل خلقه عن طريق رسله على ما يعينهم في تطهير قلوبهم من أجل جعلها مهبطاً لرحمة الله عزّ وجل ومسكناً لتوحيده ومعرفته.

ومن هذا المنطلق، فالقلب هو محل تطارد بين الخير المتمثل بجنود العقل وبين الشر المتمثل بجنود الجهل وغاية كل منهما التغلّب على الآخر والاستيلاء على القلب.

وتستمر هذه المطاردة إلى أن يتمكّن أحدهما من الآخر، فيستوطن في القلب ويستولي على الأمور كلّها، فيفقد الآخر مكانه ويقلّ بذلك نشاطه وتحركه، ولكنه مع ذلك لا يتوقف عن عمله، بل يقوم بالهجوم بين الحين والآخر ليزعزع الآخر من مكانه ويحلّ محله.

وفي هذه المعركة القائمة بين الخير والشر، إن كانت الغلبة للشر والهوى صار القلب مرعى الشيطان ومرتعه، وإن كانت الغلبة للخير والتقوى صار القلب مهبطاً ومستقرّاً للملائكة.

وللإنسان دور كبير في تغيير معادلة هذا الصراع، لأنّه يتمكّن في كلّ آن أن يوفّر لكلّ من الطرفين الأجواء المطلوبة للتغلّب على الآخر.

وأمّا دور الملائكة والشياطين في هذا المجال:

فإنّ الملائكة بإلهامها وإثارتها للفطرة تعين صاحبها للقيام بالأُمور التي تمنح جبهة الخير قدرة التغلّب على خصمها.

وأمّا الشياطين فإنّها بوساوسها الباطلة وهواجسها الفاسدة وإثارتها للشهوات والغضب وتثبيطها للعزيمة تعين جبهة الشر وتمنحها قوّة التغلّب على جبهة الخير، ومن ثم تتيح لها فرصة السيطرة على القلب.

وكلّما يكون الإنسان أنقى في نيّته وسريرته وأفقه في معرفة مسائل الشريعة، يكون في المقابل أقدر على تمييز ما هو إلهام وما هو وسوسة.

عوامل انحطاط مستوى الوعي الديني

في خضم الصراع القائم في ساحة القلب بين جبهة الخير وجبهة الشر، يهبط مستوى الوعي الديني لدى الإنسان بمقدار خسران جبهة الخير وهيمنة الشر والباطل على ساحة القلب. لأنّ جبهة الشر تورث القلب أُموراً تؤدّي لا محالة إلى انحطاط مستوى الوعي الديني، ومن هذه الأُمور:

١ ـ قساوة القلب:

-إنّ القلب يفقد اللين نتيجة حرمانه من الاتصال بجنود العقل، فيؤدّي به هذا الأمر إلى الابتلاء بالقساوة نتيجة عشعشة جنود الجهل فيه.

وقد قال تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ [البقرة: ٧٤].

٢ ـ العمى وفقدان البصيرة:

أنّ الله سبحانه وتعالى نور السموات والأرض، والقلب لا يستطيع الإبصار إلّا بهذا النور، و ﴿ مَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾ [النور: ٤٠].

ومشكلة القلب الذي قد عشعش فيه الشيطان أنّه محجوب عن النور، لأنّه قد خرج من النور إلى الظلمات، وقد قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

ومن هذا المنطلق يصاب القلب بالعمى والحرمان من رؤية الحق، وبالتالي فقدان حالة الوعي في الصعيد الديني، والاندفاع اللاشعوري إلى الجحود وعدم الإيمان.

٣ ـ إصابة القلب بالرين والزيغ والختم والطبع والكن:

الرين يعني الصدأ وهو ضد الجلاء، والزيغ هو الميل عن الاستقامة، والختم والطبع يعني السد، والكن يعني الحجاب والغشاوة، وكلّ هذه

الأمور تصيب القلب نتيجة ابتعاده عن الله عزّ وجل فتؤدي إلى انحطاط مستوى الوعي الديني عند صاحبها.

وقد جاءت هذه الأوصاف للقلوب المريضة في القرآن، منها:

﴿ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين: ١٤].

﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [الصف: ٥].

﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ ﴾ [البقرة:٧].

﴿وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة: ٩٣].

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ ﴾ [الكهف: ٥٧].

***

وكلّ هذه الأمور التي ذكرناها تؤدّي إلى فساد القلب وتمنعه عن أداء مهمّته التي من أجلها خُلق، وتدفعه إلى عدم القيام بالوظائف المنوّطة به، من قبيل: معرفة الله تعالى والإيمان به والخشوع له والالتزام بالتقوى، وهي الوظائف التي جاء ذكرها في القرآن بقوله تعالى:

﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ [المجادلة: ٢٢].

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الحديد:١٦].

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ [الحج:٣٢].

ومن هذا المنطلق يؤدّي عجز القلب عن أداء مهمّته إلى فساده وبالتالي انحطاط مستوى الوعي الديني لدى الإنسان، فتكون النتيجة الاندفاع إلى الجحود وعدم الإيمان وعدم قبول الحق.

وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [البقرة: ٦ ـ ٧].

﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٣].

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴾ [الكهف: ٥٧].

وقد وصف الله سبحانه وتعالى هذا النمط من الناس بقوله: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ ﴾ [الأعراف:١٧٩].

الفصل الثاني

سبل تنمية الوعي الديني

إنّ الإنسان -كما ذكرنا فيما سبق- قادر على تغيير معادلة الصراع القائم بين الخير والشر في قلبه، لأنّه يتمكّن في كلّ آن أن يوفّر لكلّ من الطرفين الأجواء المطلوبة للتغلّب على الآخر.

وقد أرشد الباري عباده ودلّهم على ما يعينهم في أمر التغلّب على جنود الجهل، والتي تؤدّي بالتبع إلى ارتقاء وعي الإنسان بأمر دينه، ومن هذه الأمور:

١ ـ ذكر الله سبحانه وتعالى:

إنّ القلب لابدّ أن ينشغل بخاطر ما، فإذا لم يشغله الإنسان بما هو

نافع ملأه الشيطان بما هو ضار، وأنّ السبيل الوحيد لطرد الشيطان من القلب هو ذكر الله سبحانه وتعالى وقد قال تعالى:

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ * وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ * حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَـٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴾ [الزخرف: ٣٦-٣٨].

وقد ورد عن الإمام علي عليه السلام: (مَن ذكر الله سبحانه أحيا الله قلبه ونوّر عقله ولبه) غرر الحكم: ٣٠٨٣.

وعنه عليه السلام: (**اصل صلاح القلب اشتغاله بذكر الله**)

[غرر الحكم:٣٠٨٣].

والجدير بالذكر أنّ مجرّد الأوراد الظاهرية لا تدفع وساوس الشيطان ما لم تتم عملية تخلية القلب من الرذائل. وقد شبّه بعض العلماء هذا الموقف بأنّ الشيطان مثل الكلب الجائع وأنّ الصفات المذمومة مثل مشتهيات الكلب وغذائه، والذكر يشبه قولك له: اخسأ، ولا ريب أنّ الكلب إذا قرب إليك ولم يكن عندك شيء من مشتهياته فهو ينزجر عنك بمجرد قولك اخسأ، وإن كان عندك شيء منها لم يندفع عنك بمجرد هذا القول.

فلهذا يتحتّم على مَن يودّ الحصول على ثمرة ذكره لله تعالى أن يلتزم

التقوى، وأن يقوم باجتثاث الرذائل من نفسه واستئصالها من وجوده، لينتفع من الذكر ويتمكّن من جعله وسيلة لصدّ الشيطان عن أغوائه، وقد قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

٢ ـ التفكّر:

التفكّر هو سير الباطن في آيات الآفاق والأنفس من أجل اكتساب معرفة الخالق والعلم بقدرته القاهرة وعظمته الباهرة.

ونظراً لأهميّة التفكّر فإنّ القرآن جاء حافلاً بالآيات التي تحثّ على التفكّر والتبصّر والتعقّل والتذكّر والالتفات إلى النفس وما يحيطها، وتقليب النظر في ملكوت السموات والأرض.

كما حثّ الباري في محكم كتابه على التأمّل في أحوال الأمم السابقة من أجل اكتساب العبر وعدم التعرّض للأخطاء التي وقعوا بها، لأنّ إعمال النظر في هذا المجال يكشف ظلمة الجهل ويؤدّي إلى تجلّي أنوار العلم، فيوقظ في النفس الإنسانية الرغبة في التزوّد من العلم، ومن ثم الارتقاء في المستوى المعرفي، وبالتالي الوصول إلى أسمى مراتب الوعي

الديني، وقد ورد عن رسول الله ﷺ: (**التفكّر حياة قلب البصير**) [جامع السعادات: ١٦٦/١].

كما أنّ الإنسان يتحرّر بالتفكّر ويذكر الله من الغفلة وآثارها السلبية التي منها عمى البصيرة والحرمان من إدراك الحقيقة ورؤية الواقع، وذلك لقوله تعالى حول المغفلين: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ ﴾ [النحل: ١٠٨].

وقوله تعالى:

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

٣ـ تقوى الله واجتناب الذنوب:

إنّ الذنوب من شأنها أن تصيب القلوب بالصدأ والغشاوة، بحيث أنّها تتراكم على القلب حتى تصبح ركاماً يحجب القلب عن رؤية الحق والاستماع إلى نداء الحق، وقد ورد عن الإمام علي عليه السلام: (**ما قست القلوب إلا لكثرة الذنوب**) [بحار الأنوار: ٦٠/٣٥٤/٧٣].

وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: (**ما من شي، افسد للقلب من خطيئة، إنّ القلب ليواقع الخطيئة فما تزال به حتى تغلب عليه فيصير اعلاه اسفله**) [اصول الكافي: ٢/باب الذنوب ح١].

ومن هذا المنطلق يعيش القلب الملوّث بالذنوب حالة الحرمان من الوعي الديني وحالة فقدان القدرة على رؤية الحق بوضوح.

ويكون العلاج في البدء هو التوبة، لأنّها تؤدّي إلى جلاء القلب ممّا ران عليه ونقائه من أنماط الدرن المادي والهوى النفسي وهي كما ورد عن الإمام علي عليه السلام: (**التوبة تطهّر القلوب وتغسل الذنوب**) [غرر الحكم: ١٣٥٥].

والتوبة هي عملية نفسية بها يتخلّص الإنسان من مشاعر الذنب ويحوّل بعون الله تعالى أفكار العجز واليأس والتشاؤم إلى أفكار ومشاعر الكفاءة والتفاؤل.

ثمّ تكون بعدها التقوى هي السبيل الوحيد للمحافظة على طهارة القلب وعدم تلوثّه بالشوائب نتيجة تخبّطه في دياجير الفتن والأهواء المضلة.

وقد ورد عن الإمام علي عليه السلام: (**إنّ تقوى الله دواء داء قلوبكم وطهور دنس انفسكم**) [نهج البلاغة: الحكمة: ٢٥٢].

كما أنّ تقوى الله تملء قلب الإنسان بنور الإيمان، وقد قال تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ ﴾ [الحديد: ٢٨].

وهذا النور شأنه أن يجعل الإنسان قادراً على وضوح الرؤية والتفريق بين الحق وعدم الوقوع في الشبهات، وقد قال تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾ [الأنفال:٢٩].

والفرقان هو النور الذي يجعله الله عزّ وجل في قلوب المتقين ليهتدوا به إلى سبيل الرشاد.

وبالمجاهدة في مراعاة التقوى، وطرد الأفكار والهواجس التي تراود الإنسان بشأن فعل أو نزعة لا يقرّها الشرع ولا يأباها الضمير الواعي يتحصّن الإنسان من جميع التيارات السلبية التي تؤدّي إلى قساوة القلب.

وبذلك يكون تواجد الملائكة في قلبه أكثر من تواجد الشياطين، فيكثر إلهام الملائكة في قلبه، لأنّ الإلهام الملكي يكثر في القلوب الطاهرة التي استنارت بنور الله عزّ وجل، لأنّ الملائكة مخلوقات طيبة وطاهرة لا تبحث إلّا عن القلوب التي تناسبها.

وهذا ما يرفع مستوى وعيه الديني الذي يدفعه إلى الإيمان والالتزام

بمبادىء الشريعة الربانيّة.

والجدير بالذكر أن الوعي الديني خاضع في قرارة الإنسان للزيادة والنقصان، وهو قد يعلو فيصل تارة الأوج والذروة، وينحدر تارة أخرى متضائلاً نتيجة إصابته بالفتور والتراخي بعد الجد والجنوح إلى الكسل وإيثار الدعة والراحة.

فلهذا ينبغي لكلّ فرد أن يراقب نفسه دوماً، ليعرف مستوى درجة وعيه الديني في الزيادة والنقصان، لينظر ماذا خالط قلبه من شوائب أدّت به إلى هذا التسافل والانحطاط، فيندفع إلى تطهيره وأزالته من القلب.

٤ ـ الالتزام بالأعمال العبادية:

إنّ العمل يأخذ بيد صاحبه من عالم التصوّر إلى عالم الواقع وبهذا يزداد النظر اتّقاداً والفكر نفاذاً والإدراك توسّعاً، وبهذا أيضاً تنفتح أمام بصيرة الإنسان منافذ تمنحه قدرة الاطلال على مدركات في غاية الفساحة والامتداد.

ومن هنا فإنّ الوعي الناتج من اقتران النظر بالعمل يكون أغنى وأعمق من الوعي الناتج من النظر المنفصل عن العمل. لأنّ الإنسان

باشتغاله العملي يندمج بكلّ وجوده مع الواقع الذي يبحث عنه، فينقطع عن جميع الموانع التي تقف دونه، أو على الأقل يقلّ سلطانها عليه.

ومن هنا يتخلّص الإنسان من الاختلال في التوجّه إلى فهم واستيعاب الواقع، لأنّ التنوير للنظر بواسطة العمل يفتح أمام الفرد آفاق رحبة تسدّد عقله وتساعده على الرؤية الواضحة للحقائق، وتصون حركة فكره من أخطار الانحراف ودخول الشبهات. وبصورة عامّة فإنّ التعلّم يكون أدوم وأثبت إذا تم من خلال العمل.

وينطبق هذا الأمر أيضاً على مسيرة توجّه الإنسان إلى الله سبحانه وتعالى، فالعلم النظري أو المخزون الذهني ليس إلّا مقدمة ترشد الإنسان إلى السلوك والتوجّه إلى الله سبحانه وتعالى.

وليس للعلم قيمة وشرف إلّا على قدر تعلّقه بالعمل، لأنّ الإنسان لا يتمكّن من تطهير قلبه وتنقية سريرته إلّا عن طريق المجاهدة في اجتناب المحرمات التي تلوث القلب، والمبادرة إلى الأعمال العبادية التي تدفعه للتوجّه بكلّ وجوده إلى الباري عزّ وجل، والتي تؤهّل قلبه للانفتاح على الله سبحانه وتعالى.

وبمقدار عناية الفرد بالأعمال العبادية تكون طهارة القلب، وبمقدار طهارة القلب يتمكّن الإنسان من الوصول إلى معرفة الله سبحانه وتعالى، وبمقدار هذه المعرفة يحصل الإنسان على المحبة الإلهيّة، وبمقدار

هذه المحبة يكون الإنسان مندفعاً إلى ذكر الله تعالى والانس بلقائه، وبمقدار ذلك تزول الحجب عن ا لبصيرة فينال الإنسان أسمى مراتب الوعي الديني.

ومن هذا المنطلق لا يمكن الوثوق بعلم من لا عمل له، ولا يمكن الوثوق بمَن يدّعي المعرفة وهو قليل العمل، لأنّ مَن يترك الاشتغال بالأعمال العبادية والنوافل والمستحبّات يكون أقرب إلى الانحراف والتأثّر بالشبهات. لأنّ العقلية المبتنية على العلوم النظرية المنفصلة عن العمل تكون عقلية غير محصّنة من أخطار الانحراف وغير مسدّدة وغير مستنيرة بنور العبادة، فلهذا تتلقفها الأهواء ويعبث بها الشيطان بسهولة نتيجة حرمانها من الصيانة الربانية.

٥ ـ توفير الأجواء المناسبة:

للأجواء الصالحة التي تحيط بالإنسان دور كبير وأثر بالغ في تحفيزه نحو معالي الأمور وأشرف الغايات وأسمى القيم، لأنّها تترك أبلغ التأثير على الإدراكات التي تحرّك الإرادة نحو تنمية الخصال الحميدة في الإنسان.

وفي المقابل أيضاً، فإنّ الأجواء المليئة بالأفكار الفاسدة والمفاهيم

الخاطئة والاتجاهات الضارة تستغل فرصة غفلة الإنسان فتغزو فكره وقلبه بتياراتها السامة التي إذا اخترقت وجود الإنسان عشعشت تلقائياً في ذهنه وتسرّبت من دون إرادته إلى قلبه، ولا تلبث أن تثير فيه مشاعر سلبية تزعزع إرادته وتجره بالتدريج مع التيار إلى مستنقعات الرذيلة.

فلهذا ينبغي لمَن يودّ تنمية وعيه الديني أن يتجنّب من جهة البيئة الفاسدة التي حثّ الباري عزّ وجل على الابتعاد منها، بقوله تعالى:

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَـٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا * ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ [النجم: ٢٩ ـ ٣٠].

ومن جهة أخرى، عليه أن يوفّر لنفسه الأجواء المعنوية المناسبة التي تمدّه بالغذاء المعنوي المطلوب، والتي تمنحه القوّة لاجتياز جميع العقبات التي تعتري سبيله نحو التكامل.

ولهذا ورد في الأحاديث الشريفة التأكيد على معاشرة الأشخاص الصالحين وسماع قصصهم، والصداقة مع الذين يحرّضون على الفضيلة وقراءة القرآن والأحاديث الشريفة ومطالعة الكتب النافعة وزيارة

الأماكن التي توفّر لمَن يحضرها المناخ الملائم لنمو الفضائل وتساهم في تعميق قيم الخير في النفس.

وفي ظل هكذا أجواء يتمكّن الإنسان من التسلّط الأكثر على النفس والانتصار على أنماط الهوى والغلبة على وساس الشيطان، وبالتالي من تطهير قلبه ورفع مستوى وعيه الديني.

٦ ـ التغلّب على الأهواء:

الهوى هو الميل والرغبة إلى شيء، ومن طبيعة هذا الميل أنّه يصدّ الإنسان عن الحق، ويؤدّي به إلى حالة الحرمان من الإدراك الصحيح، لأنّ من طبيعة الهوى أنّه يفسد العقل ويعيقه عن حركته السليمة ويحجبه بأغشية كثيفة ويقيّد حرّيته في البحث عن الحق ويدفعه لصياغة المبرّرات من أجل خدمة مآربه، فيشلّ قدرته على الإدراك السليم لحقائق الأشياء.

كما أنّ الهوى يلوّث القلب بأدرانه ويحجبه عن تلقّي الأنوار المعنوية التي بها يبصر الإنسان سبيله إلى الله سبحانه وتعالى، وبهذا يصاب الإنسان بالعمى والانحطاط في مستوى وعيه الديني، ومن ثم يحرم من الهداية ويقع في أودية الضلال.

وقد قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ

وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٣].

وأيضاً قال تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [ص: ٢٦].

فلهذا ينبغي لمَن يستهدف تنمية وعيه الديني أن يقوم بإقصاء رغباته وأهوائه النفسية عن ساحة قلبه وساحة فكره، وأن يطهّر قلبه من نوازع الأهواء وأن يحرّر نفسه من تبعيتها، ليتمكّن من جهة أن ينال أسمى مراتب الوعي الديني، ومن جهة أخرى أن يصون فكره من الوقوع تحت تأثير الأهواء، فيطمئن إلى نتائجه الفكرية ويزداد عنده الأمل في صحّة فهمه للحقائق.

الفصل الثالث

آثار ارتقاء الوعي الديني

إنّ الوعي الديني يحصّن صاحبه من التخبّط في أوحال الرذائل والابتلاء بالآفات السيئة والانحراف وراء الاغراءات المزيّفة. وهو يدفع صاحبه إلى اكتساب أسمى الصفات الرائعة والتحلّي بأفضل السمات النبيلة التي تعين صاحبها على نيل الأهداف السامية.

وبصورة عامّة فإنّ الوعي الديني يترك أروع الآثار الإيجابية في حياة الإنسان، والتي منها:

١ـ عدم الاغترار بالدنيا:

إنّ الإنسان المتمتّع بالوعي الديني لا تلهيه زخارف الحياة ولا يغتر

بزينتها، لأنّه ينظر إليها على حقيقتها، فيدرك أنّها فانية وأنّها ممرّ وسوق ومزرعة للآخرة، فلهذا لا يركن إليها ولا يفسح لمتعها ولذّاتها أن تلهيه عن ذكر ما هو أهمّ منها. لأنّه يعي أنّ الله سبحانه وتعالى قد خلقه لمسيرة طويلة، وقد جرت سنّته تعالى أن يكدح الإنسان من أجل نيل السعادة في المستقبل.

ولكنّ الإنسان بما أنّه يحب العاجلة فقد ينشغل بالدنيا وينظر إليها على أنّها غايته وفرصته، فيغفل عن التزوّد منها لدار المقرّ فيخسر صفقة الحياة ولا يكون حصاده يوم معاده سوى تحمّل مرارة الندم.

وقال قال تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْأَخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُوْلَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ بَعِيدٍ ﴾ [إبراهيم: ٣].

وأيضاً قال تعالى:

﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَـٰقِيَـٰتُ ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ [الكهف: ٤٦].

فالدنيا عند الإنسان الواعي تمثّل مرحلة عابرة لابدّ أن يتزوّد منها ليوم معاده، وقد أبلغ الإمام علي عليه السلام في وصفه للدنيا حيث قال:

(إنّ الدنيا دار صدق لمَن صدقها، ودار عافية لمَن فهم عنها ودار غنى لمَن

تزوّد عنها، ودار موعظة لمَن اتعظ بها، مسجد أحبّاء الله، ومصلى ملائكة الله، ومهبط وحي الله، ومتجر اولياء الله...) [نهج البلاغة: الحكمة رقم ١٣٢].

فلهذا لا يركن الإنسان إلى الدنيا ولا يتعلّق بها إلّا لدناءة مستوى وعيه الديني.

وقد قال الإمام الصادق عليه السلام:

(لو يعلم الناس ما في فضل معرفة الله عزّ وجل ما مدّوا أعينهم إلى ما متع الله به الأعداء من زهرة الحياة الدنيا ونعيمها، وكانت دنياهم أقلّ عندهم ممّا يطؤونه بارجلهم...) [الكافي: ٨/٢٤٧/٣٤٧].

وقد ورد عن الإمام علي عليه السلام في تحذيره عن التعلّق بالدنيا والغفلة عن الآخرة:

(لا تغرّنكم الحياة الدنيا، فانّها دار بالبلاء محفوفة، وبالفناء معروفة، وبالغدر موصوفة، فكل ما فيها إلى زوال، وهي بين أهلها دول وسجال، لا تدوم أحوالها، ولا يسلم من شرّها نزالها...) [جامع السعادات: ٢/٢٨].

فلهذا يهيّىء الإنسان الواعي نفسه دائماً للتزوّد من هذه الدنيا إلى دار المعاد، لأنّه يدرك هذه الحقيقة بوضوح بأن الحياة ساحة جهاد ومواجهة بين الخير والشر، وأنّ كل بحث عن راحة أو دعة أو استقرار فيها، هو خطوة نحو الفشل في هذه الساحة، وهو دلالة على الانهزام

والانتكاس فيها.

ومن هنا يكون الإنسان الواعي على الدوام مستيقظاً ومدركاً لما يجري من حوله من مخطّطات من قبل شياطين الانس والجن للإطاحة بكرامته واستلاب عزّته، فهو يجاهد باستمرار ولا يفتر قطّ عن جهاده، لأنّه يعي قوله تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ ﴾ [الانشقاق: ٦].

فلهذا يسير باندفاع وعيه لنيل الأهداف السامية في هذه الحياة.

٢ـ عدم الانخداع بالأفكار الباطلة:

إنّ الوعي الديني يحصّن صاحبه من الانخداع بالأفكار الباطلة والآراء المزيفة والحقائق المشوّهة التي يلقيها المنحرفون، ولا سيما منهم الشخصيات الضالة التي تمتلك القدرة الفائقة في كسب الآخرين والتأثير فيهم وإقناعهم بمختلف الأفكار. لأنّ الإنسان الواعي يمتلك بوعيه الميزان الذي يقيّم به الأفكار. فلهذا يكون في غنىً عن التقليد الأعمى والسير الهمجي وراء الهتافات البراقة.

ومن جهة أخرى فإنّ النفس البشرية قد تندفع بدافع الكسل الفكري إلى قبول بعض الأحكام والإذعان بها من دون بحث وتحقيق.

أو ربّما يعتاد الناس على الخطأ حتى يألفوه.

لكنّ الإنسان المتمتّع بالوعي الديني يجعل ميزانه في تقييم الواقع هو المنهج الرباني الذي ينبغي أن ترد القضايا كلّها إليه، فهو لا يعاني من اضطراب التصوّر الإيماني أو جفاف العلم بمنهاج الله تعالى أو الغيبوبة عن الواقع ليعتمد على السبل الخاطئة في معرفة الحق.

فلهذا يكون الإنسان الواعي مصاناً من الانخداع بالشبهات التي يصفها الإمام علي عليه السلام:

(فلو أن الباطل خلص من مزاج الحق لم يخف على المرتادين، ولو أن الحق خلص من لبس الباطل انقطعت عنه السن المعاندين، ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان،فهنالك يستولي الشيطان على اوليائه.) [نهج البلاغة ؛الخطبة: ٥٠].

وله عليه السلام أيضاً:

(كم من ضلالة زخرفت بآية من كتاب الله كما يزخرف الدرهم النحاس بالفضة المموهة) [غرر الحكم: ٦٨٨٥].

ولكن أصحاب الشخصيات الواعية والعقول النيرة مصانة من الانخداع بهذه الفتن والشبهات، لأنّها تمتلك بنور إيمانها الفرقان الذي يمنحها قدرة تمييز الحق عن الباطل، لأنّ للحق نور لا يمتلكه الباطل

مهما خدع زخرفة وسرابه، وقد قال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام في هذا المجال:

(**إنّما سميت الشبهة شبهة لأنّها تشبه الحقّ، فامّا أولياء الله فضياؤهم فيها اليقين ودليلهم سمتُ الهدى**) [نهج البلاغة: الخطبة ٣٨].

٣ ـ سلامة الباطن والنية:

إنّ الإنسان بارتقاء مستوى وعيه الديني يدرك أنّ الملاك في تقييم الأعمال التي يقوم بها هو مقدار مساعدتها له في تطهير قلبه وتنقية سريرته وتهذيب نفسه وتأهيله للتقرّب إلى الله سبحانه وتعالى.

ولهذا لا يجعل الإنسان الواعي رضا الناس ملاكاً لتقييم سلوكه وتصرّفاته، لأنّه يدرك بأنّ الاهتمام المفرط برأي الآخرين يدفعه للاكتفاء من الصفات الجميلة بأسمائها وعناوينها والعمل فقط بمقدار ما يحقّق له الاحترام والوجاهة بين الناس، بينما الهدف الحقيقي من الأعمال الصالحة التي يقوم بها الإنسان هو الاستفادة من حقيقة الصفات الجميلة، لأنّ العمل الصالح ليس غاية بل هو وسيلة لتطهير القلب وتنقية السريرة وتصفية الضمير والوجدان.

كما يعلم الإنسان الواعي بأن الناس يحشرون يوم المعاد على نيّاتهم،

وأن العمل الصالح ينبغي أن يطلب لله تعالى ليترك مفعوله الإيجابي في النفس، وأن الرياء والازدواجية والتوجّه للعمل العبادي لنيل رضا الناس يفسد القلب. فلهذا يندفع صاحب الشخصية الواعية في أعماله إلى نيل اللب وعدم الاكتفاء بالقشور والظواهر.

٤ ـ الإيمان والحياة الطيبة:

إنّ الإيمان يبحث دائماً على القلوب الطاهرة والسرائر النزيهة ليجعلها مستقراً ومستوطناً لنفسه.

وقد ذكرنا فيما سبق أن الوعي الديني لا يسمو ولا يرتقي إلّا بمقدار طهارة القلب وخلوه من جنود الجهل وأدران الشهوات وشوائب الهوى. فلهذا يكون قلب الإنسان بمقدار سمو وعيه الديني أكثر استعداداً لقبول الحق وأكثر إيماناً وأكثر انفتاحاً على الله سبحانه وتعالى.

ومن منطلق الإيمان يدخل الإنسان في رحاب الحياة الطيبة التي قال عنها تعالى:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل: ٩٧].

لأنّ الإيمان ينظّم نزعات الإنسان ورغباته ويروّض غرائزه بما

يحفظ له نفسه، ويوجه طاقاته نحو الخير ويسمو بتطلعاته إلى القيم السامية والأخلاق الفاضلة، ويقوم عن طريق تنمية الوازع الذاتي والتنبيه على وجود الرقابة الإلهيّة بتهذيب سلوكه وتصرّفاته وصيانة علاقته الاجتماعية مع الآخرين من غائلة الهوى والطيش.

كما أنّ الإيمان يردع صاحبه عن اتخاذ أيّة خطوة يخطوها نحو الإثم، ويصونه من حالة الضعف الروحي والانزلاق في مهاوي المغريات ويسدّده في الحياة ليمشي بثبات واستقامة وبخطوات لا تزيغ ولا تنحرف، ويخطّ له المنهج الذي يسمو به إلى أعلى المستويات.

ويفسّر الإيمان للفرد علاقته بما حوله من الناس والأحداث والأشياء ويوضّح له غايته واتجاهه وطريقه، ثم يجمع طاقاته وقواه كلّها ليدفعها في اتجاه الخير، وليصونها في نفس الوقت من البعثرة في شتى الاتجاهات المتناقضة التي لا تعود على الإنسان سوى تضييع الجهد والطاقة في غير محلّها.

ومن هذا المنطلق يمتلك الإنسان قيمته وترد عليه كرامته، وتتعزّز ثقته بنفسه ويندفع بتسديد من إيمانه وعناية من بارئه سبحانه وتعالى إلى مواجهة الحياة بشجاعة وثبات، وذلك كما قال تعالى:

﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وبهذا الثبات تتهيأ النفس لتحمّل الصدمات في الحياة والصمود أمام المصاعب بثقة تامّة، لأنّ الإنسان المؤمن يدرك هذه الحقيقة بأنّ العاقبة للمتّقين، وأنّ الله سبحانه وتعالى معه، فلهذا لا يهمّه بعد ذلك شيء ما دامت صلته قوية بالله عزّ وجل.

كما أنّ الإيمان يزرع في قلب صاحبه القوّة والصبر في مواجهة الكوارث ويصونه من الانهيار والابتلاء بمشاعر اليأس والهزيمة أمام مشاكل الحياة، فتتضاءل أمامه هموم الحياة فيراها تافهة.لأنّ الإنسان المؤمن يعي أنّ البلاء ليس إلّا وسيلة لاختباره في هذه الحياة، وهو يعلم بأنّ الشهوات تفنى والثروة تضيع والصحة تضمحل والمتاع يزول، فلهذا لا يهن ولا يضعف ولا يستكين أمام ضغوط الحياة ولا يكون همّه سوى العمل لله سبحانه وتعالى.

وبهذا يعيش المؤمن في كنف الله سبحانه وتعالى آمناً مطمئنّاً بعيداً عن الاضطراب والقلق والانهيار والاكتئاب والملل وفقدان التوازن وجميع الحالات السلبية الناتجة من ضعف الإيمان وعدم التوكّل على الله عزّ وجل.

ومن هنا تمتلىء روح الإنسان الواعي على قدر إيمانها بالأمان والسكينة والرضا والسعادة والرفعة والاستقرار، وهي سمات الحياة الطيبة التي يحصل عليها الإنسان نتيجة ارتقاء مستوى وعيه الديني.

أهم مراجع البحث

١ ـ القرآن الكريم

٢ ـ نهج البلاغة

٣ ـ الإبداع في حلّ المشكلات، د. صفاء الأعسر، دار قباء للطباعة والنشر ـ القاهرة ٢٠٠٠ م.

٤ ـ اغتيال العقل، د. برهان غليون، مكتبة مدبولي، ط٣، ١٤١٩هـ.

٥ ـ الالتقاط الفكري والتحجّر العقائدي في نظرة العلامة المطهري، محسن آجيني، منظمة الاعلام الاسلامي، ط١، ١٤٢١هـ.

٦ ـ الإنسان وحريته في الاسلام، د. محمد محمد بابللي، دار السبل ـ السعودية، ط١، ١٤١١هـ.

٧ ـ الإنسان والعقل، د. نايف معروف، سبيل الرشاد ـ بيروت ١٤١٨هـ.

٨ ـ إنفعالات النفس، رينه ديكارت، ترجمة: جورج زيناتي، دار المنتخب العربي، ط١، ١٤١٣هـ.

٩ ـ التأصيل الاسلامي للدراسات الاسلامية، محمد عزالدين توفيق.

١٠ ـ تعليم التفكير، د. ابراهيم أحمد مسلم الحارثي، مكتبة الشقري ـ الرياض، ط٢، ١٤٢٢هـ.

١١ ـ تعليم من أجل التفكير، تعريب: صفاء الأعسر، دار قباء ـ

القاهرة ١٩٩٨م.

١٢ ـ التفكّر من المشاهد إلى الشهود، د. مالك بدري، دار الوفاء للطباعة، ط١، ١٩٩١م.

١٣ ـ التقويم الذاتي للباحث في العلوم السلوكية، د. صالح بن حمد العساف، مكتبة العبيكان ـ الرياض، ط٢، ١٩٩٥م.

١٤ ـ حتى يغيروا ما بأنفسهم، جودت سعيد، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط٧، ١٩٧٢م.

١٥ ـ حرية الاعتقاد في ظل الإسلام، د. تيسير خميس العمر، دار الفكر، دمشق، ط، ١٤١٩هـ.

١٦ ـ الخطاب الفلسفي المعاصر، د. السيد محمد الشاهد، دار قباء، القاهرة، ٢٠٠م.

١٧ ـ الخيال ودوره في تقدّم المعرفة العلمية، تنسيق: عبدالسلام بن ميس، جامعة محمد الخامس، المملكة المغربية، ط١، ٢٠٠٠م.

١٨ ـ دراسات في علم النفس الإسلامي، د. محمود البستاني، دار البلاغة، بيروت، ط٣، ١٤٢١.

١٩ ـ دراسات في الفلسفة الحديثة، د. محمود حمدي زقزوق، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٩٩٣م.

٢٠ ـ دليلك إلى تطوير شخصيتك، خمسة اجزاء، يوسف الأقصري، دار اللطائف، ط١، ٢٠٠١م.

٢١ ـ الدين والعقل الحديث، د. ولتر ستيس، ترجمة: د. امام

عبدالفتاح امام، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط ١، ١٩٩٨م.

٢٢ ـ سرّ النجاح في ممارسة اليوغ، حلقة الدراسات الهندية، انتشارات نوفل، ط ١، ١٩٩٩م.

٢٣ ـ الصوفية والعقل، د. محمد عبدالله الشرقاني، دار الجيل ـ مكتبة الزهراء، ط ١، ١٤١٦هـ.

٢٤ ـ العقل الفلسفي في الإسلام، د. سعيد مراد، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٣م.

٢٥ ـ علم النفس الديني،د. رشاد علي عبدالعزيز،مؤسسة مختار،١٤١٦هـ.

٢٦ ـ العمل الديني وتجديد العقل، طه عبدالرحمن، المركز الثقافي العربي، ط ٢، ١٩٩٧م.

٢٧ ـ العوائق، محمد أحمد الراشد، مؤسسة الرسالة، ط١٨، ١٤٢٠هـ.

٢٨ ـ فصول في التفكير الموضوعي، عبدالكريم بكّار، دار القلم، دمشق، ط٣، ١٤٢١هـ.

٢٩ ـ القرآن والنظر العقلي، فاطمة اسماعيل محمد اسماعيل، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، ط ١، ١٩٩٣م.

٣٠ ـ المدخل إلى علم الاخلاق، د. وليام ليلى، ترجمة علي عبدالمعطي محمد.

٣١ ـ مشكلة الحب، د. زكريا ابراهيم، مكتبة مصر، دار مصر

للطباعة.

٣٢ ـ معايير الفكر العلمي، جان فوراستيه، ترجمة: فايزكم نـقش، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط٢، ١٩٨٤م.

٣٣ ـ معرفة الذات، مـاري مـادلين دافي، تـرجمـة: نسـيم نـصر، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط٣، ١٩٨٣م.

٣٤ ـ من المعرفة إلى العـقل، د. محـمد المـصباحي، دار الطـليعة ـ بيروت، ط١، ١٩٩٠م.

الفهرس

المقدمة ٩

الباب الأول / ارتقاء المستوى الفكري

أهمية الفكر........................... ١٥

عملية التفكير ١٦

عناصر عملية التفكير........................... ١٧

سبل ارتقاء المستوى الفكري........................... ١٩

١ ـ تنشيط عملية التفكير........................... ١٩

تعريف المشكلة ٢٠

مواجهة الإنسان للمشكلات ٢٠

الموقف الصحيح إزاء المشكلات ٢١

خطوات حلّ المشكلة ٢٢

الف ـ تحديد المشكلة........................... ٢٣

ب ـ توليد الأفكار........................... ٢٤

ج ـ اتخاذ الحلّ النهائي........................... ٢٦

د ـ التخطيط للتنفيذ ٢٧
هـ ـ تطبيق الخطة ٢٨
تخطّي العقبات في حلّ المشكلات ٢٩
٢ - اثراء الرصيد المعرفي ٣١
دوافع تحصيل العلم ٣٢
انماط تلقّي العلم ٣٢
١ ـ تلقّي العلم عبر المعلّم ٣٢
٢ ـ التعلّم الذاتي ٣٤
القراءة ٣٥
من سمات القراءة الواعية ٣٥
٣ ـ تنمية الوعي بالتفكير ٣٧
أسلوب عملي لتنمية الوعي بالتفكير ٣٨
٤ ـ تطوير مهارات التفكير ٣٩
٥ ـ ضبط مسار الفكر ٤٠
٦ ـ صيانة الفكر من الأوهام ٤٢
٧ ـ تمتّع الذهن بالحرية ٤٣
سبيل الوثوق بالنتائج الفكرية ٤٤

الباب الثاني / العقلية الواعية

الفصل الأوّل : العقل........................ ٤٩
تعريف العقل لغة واصطلاحاً ٤٩
مهمة العقل........................ ٥٠
حدود عمل العقل ٥١
نمو العقل ٥٢
استخدام العقل في أمور الدنيا........................ ٥٣
توظيف العقل للهداية ٥٤
الفصل الثاني : العقلية........................ ٥٧
العقلية المنفتحة ٥٨
العقلية المنغلقة (التقليدية) (المتحجرة) ٦٠
العقلية الناقدة........................ ٦٣
التفكير الناقد البنّاء........................ ٦٥
حساسية النقد........................ ٦٦
العقلية المبدعة ٦٨
سبل تنمية التفكير الابداعي........................ ٧٠
الفصل الثالث : العقل الموضوعي ٧١

أسس بناء العقل الموضوعي........................ ٧٢

١ ـ ادراك ابعاد الذات ٧٣

٢ ـ نبذ الاتباع الأعمى للآباء........................ ٧٤

٣ ـ التحرر من تقديس الاشخاص ٧٥

٤ ـ مراعاة الانصاف........................ ٧٥

٥ ـ ضبط مزاجية النفس ٧٦

٦ ـ تطهير النفس من التعصّب ٧٧

الفصل الرابع : دور الحوار في تنمية الوعي ٧٩

أهمية الحوار........................ ٧٩

قواعد الحوار البنّاء ٨١

من شروط الحوار ٨٦

تحوّل الحوار إلى سجال ٨٧

اساليب المنهج السجالي ٨٩

الباب الثالث / النفس وتنمية الوعي

الفصل الأول : الصحة النفسية........................ ٩٥

معالجة الأمراض النفسية ٩٦

تنشيط المناعة النفسية........................ ٩٧

الفصل الثاني : تهذيب النفس ٩٩
طبيعة النفس البشرية ١٠٠
طبيعة الغرائز ١٠٢
دور تهذيب النفس في تنمية الوعي ١٠٣
الفصل الثالث : الثقة بالنفس ١٠٧
الفرق بين الثقة بالنفس والتعجرف ١٠٧
أهم دواعي اكتساب الثقة بالنفس ١٠٨
أهم دواعي فقدان الثّقة بالنفس ١١٠
ثمار الثقة بالنفس ١١٣
١ـ التقدّم في جميع الأصعدة: ١١٣
٢ ـ التمتّع بالنشاط والحيويّة: ١١٤
٣ ـ استقلال الشخصية: ١١٥
٤ ـ نيل الشخصية المؤثّرة: ١١٦
مشاعر تفقد الثقة بالنفس ١١٦
١ ـ الانزعاج: ١١٦
٢ ـ الإحباط: ١١٧
٣ ـ خيبة الأمل: ١١٨

٤ ـ التشاؤم: ١١٨

الفصل الرابع : انفعالات النفس ١٢١

أمهات الانفعالات ١٢١

الاعتماد على الانفعالات في التقييم ١٢٣

أقسام الدوافع المثيرة للانفعال ١٢٤

سبل التغلّب على الانفعالات الموهمة ١٢٥

الأثر المتبادل بين ضبط الانفعال وتنمية الوعي ١٢٧

الفصل الخامس : الذات والأنانية ١٢٩

الفرق بين حبّ الذات وحبّ الأنا ١٣١

سبل التحرّر من الأنانيّة ١٣٢

الباب الرابع / تنمية الوعي الديني

الفصل الأوّل : القلب وعوامل انحطاط الوعي الديني ١٣٧

القلب ١٣٧

عوامل انحطاط مستوى الوعي الديني ١٣٩

١ ـ قساوة القلب: ١٣٩

٢ ـ العمى وفقدان البصيرة: ١٤٠

٣ ـ إصابة القلب بالرين والزيغ والختم والطبع والكن: ١٤٠

الفصل الثاني : سبل تنمية الوعي الديني ١٤٣
١ـ ذكر الله سبحانه وتعالى: ١٤٣
٢ ـ التفكّر: ١٤٥
٣ـ تقوى الله واجتناب الذنوب: ١٤٦
٤ ـ الالتزام بالأعمال العبادية: ١٤٩
٥ ـ توفير الأجواء المناسبة: ١٥١
٦ ـ التغلّب على الأهواء: ١٥٣
الفصل الثالث : آثار ارتقاء الوعي الديني ١٥٥
١ـ عدم الاغترار بالدنيا: ١٥٥
٢ـ عدم الانخداع بالأفكار الباطلة: ١٥٨
٣ ـ سلامة الباطن والنية: ١٦٠
٤ ـ الإيمان والحياة الطيبة: ١٦١
أهم مراجع البحث ١٦٥
الفهرس ١٦٩